

أمل الرفاعي



نشر إلكترونيا في ذي الحجة، 1438/سبتمبر، 2017.



الإخراج الفني: فوزية الألمعي
تصميم الغلاف: إدريس يحيى
التدقيق اللغوي: خيرية الألمعي

محتـــويات الكتـــــاب



المقدمة

المحبة هل تعلمون مالذي تعنيه هذه الكلمة الصغيرة؟ المحبة كلمة شاملة تُشير إلى أنبل العواطف في هذا العالم.

المحبة عطاءٌ وتضحيةٌ وإخلاصٌ وتفانٍ...

هناك أساليب متعددة للمحبة لكن الوحيدة الجيدة منها هي عندما يحب المرء دون أن ينتظر المقابل... ودون أن يأخذ المقابل، ودون أن يطالب بالمقابل...

يعيش البعض حياتهم بوهم ويتحركون مع الغيوم، بينما يتحرّق البعض الآخر بنيران داخلية، لكن القليل منا من يعرف معنى الحياة ومن يعيشيها بمحبة وإخلاص... لعل القارىء عندما سيطالع مُجريات هذه القصص المؤثرة حول الإخلاص والتفاني في المحبة، قد يجد فيها ما هو بعيد كل البعد عن واقعنا الحالي حيث أصبح الإخلاص من الأمور النادرة بعد أن أصبحت مقاييس العلاقات الإنسانية وبعد أن أصبح الإخلاص والتفاني في المحبة مختلفًا كل الاختلاف في عصرنا الحالي.

وكما يقول الكاتب في تعليقه في نهاية قصة (القلب):

"لقد أثبتت بطلة القصة لبنات جنسها المعنى السامي للمحبة وللإخلاص، وجعلت من نفسها مثالًا لكرامة الأنثى؛ لأنها أثبتت للعالم الفارق بين الإخلاص في المحبة وبين الخيال والنزوة...".



قلب مخلص

للكاتب جيمس فينيمور كوبر

الفصل الأول

ذات يوم من أيام شهر كانون الأول/ديسمبر القارصة البرودة التي قليلًا ما تكون فيها السماء صافية كانت شابتان تتجولان في أحد المنتزهات الراقية في مدينة نيويورك. لم يكن في شخصية أكبرهما سنًّا ما يُثير أي اهتمام سوى ما تتميّز به من عنفوان الصبا ومن صحة، بينما كان في ملامح الشابة الأخرى نوع من الرقة والكياسة؛ جعلت الكثير من المارّين يستديرون من جديد للنظر إلى تلك الشابة الرقيقة جدًّا.

كانت تلك الشابة تمتلك نوع من الكياسة الفاتنة ما يفوق ما قد يشاهده المرء من جمال في أية شابة أخرى، كان جمالها بالتحديد جمال الصبا الذي يقف أمامه أي شخص لكي يتأمله، وكان في سيماء وجهها نوع من البراءة التي تأسر القلوب وكأن مشاعرها الرقيقة تنعكس وتشعّ على وجهها بشكل أكثر مما تمتلكه من جمال الملامح

لكن كان قد حدث مع ذلك ما جعل بعض الأشخاص في ذلك الحشد من المارين لا يلتفت حتى إلى صورة تلك الأنثى الساحرة التي لفتت نظر المئات من المارّين، وكان بذات الوقت قد أعاق أيضًا مرور الشابتين.

كانت جماعة صغيرة من المارّين قد توقفت إلى جانب الطريق تنظر بأكثر من الاهتمام العادي إلى رجل لم يكن يتحلّى بأية صفات شخصية غير عادية تلفت الانتباه...



كانت الشابة الأكبر سنًّا بعد أن نظرت إليه بعدم مبالاة قد سحبت رفيقتها إلى الجانب الآخر من الشارع وأبعدتها عمّا يُعيق طريقهما وقالت:
"ليس الأمر بهذا الأهمية شارلوت... لابد أن هذا الرجل ثمل فعندما يتناول الناس الشراب يكون عليهم أن يحتملوا النتائج"
لكن رفيقتها قالت بصوت رقيق يتناسب مع شكلها اللطيف:
"لكن هذا الرجل لا يبدو مُدمنًا على الشراب ماريا! لابد أنه يعاني من مرض مفاجئ!"
لكن ماريا كانت قد قالت حتى دون أن تُلقي نظرة أخرى إلى ذلك الشخص الذي كان يتألم بحيث يكون بإمكانها أن تتبيّن فيما إذا كان لونه من الملونين:
"بإمكاني أن أقول أن مثله مُعتاد على ذلك، لا تقلقي سوف يصبح بوضع أفضل بعد أن ينام"
لكن رفيقتها قالت من جديد وهي لا تزال تُحدق بذلك الرجل البائس:
"لكن هل يعتبر الرصيف المكان المناسب للنوم؟ ماذا لو كان مريضًا؟ لِمَ لا يساعده أحدهم على النهوض؟ لِمَ لا يهتم به أحد؟ لم يدَعونه يؤذي نفسه بهذا الشكل؟"
ثم توقفت شارلوت التي كانت قد ابتعدت بفزع من مظهر ذلك الرجل وأخذت تُحدّق به باهتمام لم يكن بإمكانها أن تسيطر عليه ما أجبر رفيقتها على أن تفعل ذلك...
كان ذلك الحشد قد ابتعد عن الرجل لكي يتركه له المجال للتدحرج على الأرض وهم لا يزالون ينظرون إليه بفضول لكن بدون التعاطف الذي يُميّز الرجل المُطالب بالتصرف والمُبادرة. لم يكن أحدهم قد عرض تقديم المساعدة لذلك الشخص المتألم على الرغم من أن الكثيرين قالوا بأن على أحدهم أن يتولى الاتصال بالجهات الخيرية الرسمية في البلدة لتقديم المساعدة إليه... بينما كان البعض الآخر، بعد أن أشبع فضوله قد انسحب بهدوء عندما وجد أن الوقت قد حان للتصرف لكي يتجنب ما قد ينجم عن التدخل بالموضوع من إشكالات، ربما



كان البعض الآخر من بينهم قد شعر بأن عليه المبادرة لمساعدة ذلك الرجل، لكنه مع ذلك قد ترددوا بالأخذ بزمام المبادرة، وهو الأمر الذي كان جديرًا بمشاعرهم، لأنهم وجدوا ما يبدو بأن ذلك التصرف قد لا يتوافق مع وضعهم الاجتماعي وبأنه قد يُعتبر عَرضًا أو تفاخرًا منهم بمثل ذلك العمل الخيري غير العادي لرجل غريب من الملونين.

فعلى الرغم من أن الجميع كانوا يشيدون بالأعمال الخيرية لكن الحقيقة هي أن المرء عندما يكون ضمن مجتمع معين يكون تصرفه مقيدًا بالرأي العام، على الرغم من أن المفترض دون أي شك أن يبادر المرء إلى مساعدة أي مخلوق ممدد على طرف الرصيف وهو يراه يتألم مهما كان جنسه أو لونه...

أما عن ذلك الشاب الذي أشار إلى أن على أحدهم أن ينقل ذلك الرجل إلى إحدى الجهات الخيرية المسؤولة فمهما كانت دوافعه، فإن ما كان يشغل اهتمامه أكثر من أي شيء آخر كان أسلوب الحوار الذي كان يدور بين الشابتين... كان قد تَبعهما عبر الشارع وكان قد توقف أيضًا عندما توقفتا لمشاهدة ما يجري لأنه شعر على الفور بإعجاب كبير تجاه الشابة الأصغر سنًّا منهما لما تتميز به من الصفات التي أوردنا ذكرها ما جعله ينسى نفسه، لكنه شعر بما يشبه الأسى عندما سمع شارلوت تقول وقد عَلت الحمرة خديها:

"ها هو جورج مورتون... وهو دون شكّ من سيعرض مساعدته على هذا الرجل البائس"

استدار ذلك الشاب (ديلافيلد) بسرعة وشاهد شابًّا يشقّ طريقه بين الحشد بكل حماس ويقترب من الرجل المريض، لكن المسافة بينهما بعيدة جدًّا بحيث لم يكن بإمكانه أن يسمع ما جرى...

كان سائق عربة فارغة قد أوقف عربته بذات الوقت لكي ينظر إلى الرجل مع الباقين. قام جورج مورتون على الفور باستدعائه وطلب منه مساعدته على حمل الرجل المريض إلى العربة وكان ظهوره بذلك قد جعل تلك الإجراءات تتم بسرعة وبأشبه بهدوء سحري.



كان جورج مورتون أبعد ما يكون عما قد يلفت نظر المشاهد إليه لكن عيني تلك الشابة الجميلة ظلت تُحدّق به ببهجة إلى أن غابت العربة عن ناظريها ثم قالت بصوت خافت:

"كنت أعلم بأن جورج مورتون لن يمر بهذا الرجل دون أن يتعاطف معه... لكن تُرى إلى أن ذهبوا؟ آمل ألا يكون ذلك إلى مكان بعيد جدًّا في مثل هذا اليوم القارص البرودة خاصة وأن جورج لا يرتدي معطفًا يقيه من البرد"

كانت تتحدث بنوع من التعاطف الشديد ما جعل الشاب الذي كان يصغي إليها يقترب من جانب العربة حيث كان الحديث يدور بين جورج مورتون وذلك الرجل المريض ثم يعود إلى السيدتين اللتين كانتا لا تزالان واقفتين تنتظران وهما في غاية الاهتمام معرفة ما يجري.

رفع قبعته وتوجه بالحديث إلى الشابة التي جلبت اهتمامه وقال:

"عرضت على صديقك أن أعطيه معطفي لكنه رفض عرضي له وقال بأن العربة دافئة. هما ذاهبان الآن إلى مأوى الفقراء ويسعدني أن أعلمك بأن ذلك الرجل البائس قد أصبح بوضع أفضل وبأنه قد بدأ يتعافى من نوبة المرض"

كانت شارلوت حينذاك قد نظرت للمرة الأولى إلى الشخص الذي كان يتحدث إليها وكان التورّد قد صبغ خدّيها كما لو أنها كانت بذلك تُعرب عن شكرها إليه بصمت. كانت رفيقتها التي كانت تحدّق أثناء ذلك بإحدى نوافذ العرض في المخزن المجاور قد استدارت فجأة لدى سماع صوت ذلك الشاب وهتفت بكثير من السرور:

"ما هذه المفاجأة سيد غيلافيلد لم أكن قد التفت إلى وجودك بين الحشد... أنت ترى إذن بأن ذلك البائس لن يموت؟"

أجاب الرجل وقد تعرّف على وجه رفيقة تلك الجميلة وقال بحماس لم يكن بإمكانه أن يخفيه:

"آنسة أوسغود كم كنت غافلًا! لم أكن قد لاحظت وجودك وأنا أتحدث إلى الآنسة رفيقتك"



وكانت عيناه قد ارتكزتا على ملامح الجميلة لصديقتها كما لو أنه كان يقصد تفسير سبب إهماله.

قالت الشابة بسرعة الفطنة الفورية للجميلة التي تشعر بمكانتها في عيني الجنس الأخر:

"كنا نحن أيضًا منهمكتين بالتحدث عن معاناة ذلك الرجل البائس لذا لم أكن قد التفت إلى وجودك"

وأجابت رفيقتها برزانة: "لا شكّ في ذلك"...

وكان السيد ديلافيلد قد استدار للمرة الأولى بنظره عن شارلوت لكن ذلك لم يكن ضروريًّا لأن الشابة كانت مُستغرقة إلى حدّ كبير بمشاعرها الشخصية لكي يكون بإمكانها أن تلتفت إلى سلوك الآخرين.

كانت منذ اللحظة التي غادرت فيها تلك العربة قد ظلت تمشي إلى جانب صديقتها بصمت دون أن تلفت إلى أي شيء آخر.

ثم قامت ماريا بتعريف كل منهما على الآخر وقالت:

"آنسة هينلي... السيد سيمور ديلافيلد"

تلا ذلك انحناءة احترام ومجاملة، ثم حوار بين ذلك الشاب وتلك الصديقة القديمة ولم يكن ذلك الحوار يتوقف سوى نادرًا بملاحظة عابرة من تلك الرفيقة أما ذلك الشاب فكان كلما أبدت شارلوت أية ملاحظة يصغي إليها بكل اهتمام وإعجاب لم يكن ليخفى عن عين الناظر.

استمر الثلاثة بالتجول معًا إلى أن اقترب موعد العشاء ثم توجهوا نحو منزل الآنسة هينلي. لم يكن ذلك الشاب قد عاد للإشارة إلى الحدث الذي كان السبب في تعارفهما وإنما كان أثناء تجوالهما قد قال فقط:

"آنسة هينلي! لا شكّ أن الأسلوب الذي تحدثت به عما يتميّز به السيد مورتون من إنسانية سوف يشبع غروره كثيرًا... سيكون من واجبي أن أعلمه برأيك الجيّد عنه عندما سوف أتعرف إليه جيدًا"

قالت شارلوت:



"بكل بسرور... وإن كان السيد جورج مورتون لن يعرف ذلك الآن فقط فأنا أقيم في المنزل المجاور لمنزله منذ طفولتي، وكنت قد شاهدت الكثير مما يؤكد طيبة قلبه وبذلك كان لدي دومًا هذا الرأي به؟"

قالت رفيقتها ماريا:

"لكنه لو أعلم بذلك شخصيًّا فسوف يسرّه ذلك كثيرًا. سيد ديلافيلد! لو رغبت بإعلامه بحظه الجيد فكل ما عليك أن تحضر حفلتي الموسيقية مساء الغد وسوف أحرص على أن يتم التعارف بينك وبين ذلك البطل الإنساني"

كانت الدعوة قد قُبلت بسرور وكان الشاب قد استأذن بعد ذلك وترك الشابتين أمام باب المنزل.

كانت ماريا قد قالت على الفور من إغلاق الباب خلفهما:

"والآن أعلميني شارلوت ما رأيك بهذا الشاب؟ فأنا في غاية الحماس وعلى استعداد بأن أدفع نصف أيام حياتي لمعرفة رأيك فيه..."

قالت شارلوت وهي تضحك:

"ربما كان عليّ لكي أنقذ حياتك أن يكون لدي الكثير مما أقوله لك على الرغم من أنك تتهميني دومًا بالكتمان، لكن من تقصدين بسؤالك؟"

قالت ماريا: "حقًّا أنا أقصد بالطبع ديلافيلد... سيمور ديلافيلد نموذج كل الرجال... الرجل الذي يجلب انتباه كل الجميلات في المدينة... الرجل الذي هو مفخرة عائلته!"

سألتها شارلوت بخبث: "أهو مفخرة عائلته أيضًا؟"

أجابت ماريا: "ليست لديه عائلة فقد توفي الجميع لكنهم تركوا له أموالهم وبإمكانه بالطبع بكل تلك الأموال أن يحصل على الكثير من الآباء والأمهات"

قالت شارلوت: "من حسن حظه أن يكون بإمكانه تعويض فقدانه لهم"

أجابت ماريا: "من المؤكد أن بإمكانه أن يحصل على الأصدقاء من أفضل الأشخاص في المدينة، لذا يجب أن يحصل على ذلك"

قالت شارلوت بأسلوب من العتاب:



"وهل ترين أن بإمكانه لأجل ذلك أن يحصل على كل ما يريده أفضل مني ومنك؟"
أجابت ماريا: "أووه! لا... لا بالتأكيد... كان قد تزوج من زمن بعيد لو كان يرغب بذلك. يقولون بأن لديه ثروة تعادل الثلاثين ألف دولار..."
قالت شارلوت: "وربما لكان قد أصبح تعيسًا لذا من الجيّد أن يكون رجلًا وإلا لكانت ثروته قد جلبت له التعاسة"
صاحت ماريا: "لا بالطبع لايمكن أن يصبح المرء تعيسًا عندما يتزوج زواجًا مناسبًا"
قالت الآنسة هينلي وهي تبتسم:
"لِمَ لمْ يتزوج السيد ديلافيلد إذن! لو كان الزواج جيدًا؟ ألم تقولي أن بإمكانه أن يتزوج بكل سهولة؟"
قالت ماريا: "الأمر يتعلق بصعوبة الاختيار فهناك الكثيرات ممن يهتممن به"
"ماريا أرجوك!..."
"الرحمة! أرجو أن تعذريني! لكن هذا الرجل منذ عاد من الخارج قد حصل على الكثير جدًّا من التودّد ممن حوله. أقصد من الأشخاص المُسنين ومن الفتيات اللواتي حاولن التقرّب منه وكل منهن توجه إليه الأسئلة:
"هل رأيت بونابرت؟ هل ستكون هناك حرب؟"
كان السيد ديلافيلد بشخصيته الجذابة وبثروته قد لقي الاهتمام من الجميع ومن جميع السيدات بحيث لم يكن لديه الوقت لاختيار الزوجة..."
قالت شارلوت وهي تخلع معطفها وقفازيها:
"أنا أتساءل بالفعل كيف لم تقومي أنت بالتقرب منه فأنت على ما يبدو تهتمين كثيرًا بهذا الرجل..."
أجابت ماريا: "أووه... كنت قد فعلت ذلك منذ شهر ومنذ اللحظة التي جاء فيها"
نظرت إليها شارلوت وضحكت ثم قالت: "وهل أعلمته بذلك؟"
"لم أفعل ذلك بلساني ولكن بنظرة عيني وآلاف المرات... وبذلك الأسلوب وتلك اللغة التي بإمكان الأنثى أن تستخدمها... كنت أذهب دومًا إلى الأمكنة التي يذهب



إليها، وكنت لو رأيته في الشارع خلفي أتحرك ببطء ووقار إلى أن يمر إلى جانبي، ولو صادف وكان أمامي كنت أتظاهر بأنني على عجل لكي أمر أمامه لكن..."
قاطعتها شارلوت وهي تعجب من سذاجة رفيقتها: "كنت تمرين إلى جانبه وتتجاوزينه؟"
"تمامًا... فنحن لا نسير بذات السرعة وكانت هذه هي المرة الأولى التي يمشي بها معي منذ عودته من الخارج وأنا أدين لك كثيرًا بذلك بالطبع!"
قالت شارلوت بدهشة: "تُدينين لي ماريا؟"
"نعم، وليس لشخص آخر. كان يتحدث إليّ لكنه كان ينظر إليك... يبدو أنه علم بغريزته بأنك الفتاة الوحيدة لوالديك... كما أنني أعتقد بأنه بالفعل يعلم بأن لدي عشرة من الإخوة والأخوات... من الأفضل لك أن توثّقي علاقتك به شارلوت وهو أفضل بألف مرة من جورج مورتون من الناحية المادية على الأقل"
قالت شارلوت وهي تستدير إلى الناحية الأخرى لكي تُخفي ذلك التوهج الذي علا خديها الشاحبين:
"ما هي علاقة الأمر بما لدى كل من السيد ديلافيلد وجورج مورتون من مزايا؟"
وكان الحديث بينهما قد توقف عند هذا الحد لأن شارلوت كانت قد غادرت الغرفة وانشغلت بإعطاء الأوامر للخدم بشأن الأمور المنزلية.
كانت شارلوت هينلي الابنة الوحيدة التي بقيت لوالديها من أصل ستة أطفال توفوا في طفولتهم. كانت وفاة باقي الأولاد قد جعلت والديها يركّزون كل ما لديهم من دفء المشاعر والعاطفة على تلك الطفلة، كما كان ما عزّز تلك المشاعر ما تتحلى به تلك الطفلة من صفات مميزة استثنائية ومن الكثير من الخصال الحميدة، وهو ما جعل أهل شارلوت يبحثون بين معارفهم بقلق وينتظرون الاختيار الذي سيحدد سعادة ابنتهم.
لم تكن شارلوت قد بلغت بعد سن السابعة عشر لكن العادات في تلك البلدة والثروة التي سوف ترثها، بالإضافة إلى ما تتحلى به من صفات مميزة جعلتها تصبح محطّ إعجاب كل من حولها...



لم يكن في تصرف شارلوت ما يُشير إلى أن لديها أي ارتباط عاطفي وإنما كان كل ما لديها تجاه من حولها هو التقدير الذي يختلف تمامًا عن مشاعر المحبة التي تؤدي إلى الارتباط بشخص معين.
كانت ماريا أوسغود إحدى قريباتها وقد ربطت بينهما صداقة حميمة رغم الاختلاف الكبير بينهما في كل من المظهر والشخصية والطباع الذي كان أشبه بالفارق بين اللونين الأسود والأبيض.
أما جورج مورتون الشاب الذي تمت الإشارة إليه فهو ابن إحدى العائلات التي تقيم منذسنوات في المسكن المجاور تمامًا كما كان والده يمتلك منزلًا ريفيًّا بالقرب من منزل السيد هينلي في الريف.
كانت هذه الظروف قد أدّت إلى الألفة والمودة بين العائلتين وقد دعمها ما لدى كل من العائلتين للأخرى من تقدير واحترام، كما دعمها العديد من المواقف التي جمعت بين العائلتين في جميع الظروف السعيدة والظروف السيئة التي مرت كل من العائلتين بهما.
كان جورج مورتون أكبر سنًّا من شارلوت ببضع سنوات. كان قد تخرج مؤخرًا من الدراسة الجامعية. كانت طيبته ولطف تعامله قد جعلت الجميع يحبونه وهي تلك المزايا التي لفتت نظر شارلوت إليه أكثر من أي شاب آخر من معارفهم ومن أصدقائهم... لكن لم يكن لدى ماريا أوسغود أدنى شكّ بما يربط بين شارلوت وجورج مورتون سوى بما لا يتعدى التقدير النزيه المتبادل...
بينما كانت العائلة تتناول العشاء في تلك الليلة كانت ضيفتهم ماريا قد قالت بذلك الأسلوب الطائش غير المُبالي الذي يُميز شخصيتها وأسلوبها في الحديث:
"سيد هينلي! عليك أن تتوقع حصولك عما قريب الحصول على ابن وهو شخص جذاب ولطيف مثل ابنتك"
أجاب ربّ العائلة وقد فهم على الفور المقصود من تلك الملاحظة:
"حقًّا؟ وما هو اسم ذلك الرجل؟"
تابعت ماريا حديثها بالقول:



"كما أن جميع الأمهات في البلدة سوف يحسدونكم على مثل هذا الارتباط... والأمر يستحق ذلك"

ثم التفتت إلى شارلوت وقالت: "لا لا... تهزّي رأسك شارلوت. أنا متأكدة من أن ذلك الزواج سوف يتم."

قالت شارلوت بمرح: "صداقتي معك تجعلني أمتنع عن أي اتخاذ أي موقف تجاهك جراء تدخلك"

أجابت ماريا: "بالنسبة إليّ لقد تخليت عن طموحاتي وبالإضافة إلى ذلك لاتنسي بأن وجود عشر أخوة وأخوات لدي أمر مفزع..."

أجابت شارلوت بحياء وهي تنظر إلى والدتها:

"ماريا! أنا متأكدة من أنني لا أفكر بهذا الشكل، كما أنني أشعر بأنني مرتبطة بعهد شرف بما أعلمتني به سابقًا بما لديك من نوايا"

قالت ماريا: "وأنا أقول لك الآن بأنني تخليت عنها جميعًا وعن كل ما كان لدي من اهتمام بهذا الشاب"

حينئذ سألت السيدة هينلي وهي تحاول أن تظهر عدم اهتمامها بالأمر بينما كانت قد اهتمت بالشاب: "ومن هو ذلك الشاب؟"

أجابت ماريا: "سوف تحصلين بالتأكيد على أفضل شاب في هذه البلدة كما أنه ربما الشاب الأكثر ثراء... والأكثر ثقافة... كما أنه دون شك الشاب الذي لديه العدد الأكبر من المعجبات"

قالت السيدة هينلي وهي تنظر إلى زوجها الذي بادلها نظرة بذات الاهتمام:

"أنت تُثيرين بالفعل فضولي لمعرفة من يكون ذلك الشخص المثالي؟"

أضافت ماريا: "لا أعتقد بأنه سنه تتجاوز الأربعة والعشرين كما أن عينيه السوداويين سوف تشكلان مقارنة ساحرة بعيونكم الزرقاء"

سألت السيدة هينلي التي لم تعد تقاوم التظاهر بعدم الاهتمام:

"من هو الشخص الذي تشير إليه الآنسة أوسغود؟"



أجابت شارلوت وهي تبتسم بسذاجة أبعدت على الفور عن قريبتها كل ارتباك وتردد: "إنها تقصد بذلك السيد سيمور ديلافيلد"

قال السيد هينلي: "أنا أعرفه لكن لاأعتقد بأنك سبق وقابلته شارلوت؟"

"التقينا هذا الصباح وقامت ماريا بالتعارف بيننا"

قال والدها: "وأعتقد أن رأيها به منصف جدًّا"

أجابت ابنته: "هو رأي منصف جدًّا وأنا أيضًا أرى بأنه الرجل أكثر وسامة ممن قابلتهم"

صاحت ماريا وهي تضحك: "هل تسمحين لي بأن أعلمه بذلك؟"

أجابت شارلوت بكل بساطة: "بالنسبة إلي ليس لدي أي اعتراض بأن يعلم بذلك ما عدا أنني أرى بأنه من عدم المناسب أن يتم إطراء شخص محترم لكنك بإمكانك أن تقدري فيما إذا كان ذلك مناسبًا له أم لا!"

قالت والدتها: "فآنت إذن ترينه مزهوا بنفسه؟"

وكانت الإجابة بالأسلوب البسيط: "ليس ذلك على الإطلاق أو بالأحرى لم يقم بالاستعراض أمامي ذلك بالنسبة إلي"

قال والدها وهو يتجنب النظر إلى وجه ابنته: "كما يعرف عنه بأنه من الأشخاص المنطقيين العقلانيين، أعتقد بأنه لديه الكثير من الحصافة، لكن ليست لديه منطقية؟"

قالت شارلوت وهي تنهض لكي تُشعل اللفافة لوالدها: "هل علي أن أحكم على ذلك؟"

وكانت قد ركزت بعينيها الزرقاوين الصافيتين على والدها بحنان كبير وانحنت لكي تتلقى على خديها قبلته الأبوية التي أزالت ما كان لديها من خوف مرتقب أثاره حديث رفيقتها عن ذلك الشاب.

لم يكن السيد هينلي يعلم عن ذلك الشاب ما يجعله يتجنب مثل ذلك الارتباط لكنه لم يكن مع ذلك قد استفسر كثيرًا عن سلوكيته وإنما تصرّف بالحذر واليقظة التي يراها ضرورية تليق بما لدى ابنته من ميزات وبراءة، وكان قد قرّر



بينه وبين نفسه بأن عليه ألا يهمل تلك المهمة بعد ذلك ثم استأذن وانسحب إلى مكتبه.

لم يكن السيد هينلي قد انسحب بعد إلا وكان جورج مورتون قد دخل إلى غرفة الطعام بحرّية الصديق القديم المُفضّل، وطلب من السيدة هينلي أن تسمح له بتناول وجبته لديهم لأن عائلته سوف تتناول العشاء في الخارج.

نهضت شارلوت بسرعة على الفور لتلبية طلبه ثم سحبت له كرسيًّا لكي يجلس قرب المدفأة وقالت: "اجلس هنا جورج! أنت ترتجف من البرد يبدو أنك نسيت معطفك"

أجاب الشاب وهو يُلقي على شارلوت نظرة مُفعمة بالمحبة:

"شكرًا لك فأنا أشعر بالفعل البرد بشكل غير عادي ربما كان ذلك بسبب ما لدي من ضعف في رئتي كان من الحماقة بالفعل ألا أرتدي معطفي"

سألته شارلوت بعد ذلك:

"كيف كانت حالة ذلك الرجل البائس عندما تركته؟"

أجاب جورج: "أفضل بكثير وقد أصبح الآن بأيادي أمينة تمامًا"

ثم استدار بسرعة إلى ماريا وقال:

"آنسة ماريا وهكذا كان رجلك الوسيم قد تنازل أخيرًا على السير برفقتك..."

أجابت ماريا وهي تبتسم: "نعم... أيها السيد الأحمق لكن عليك الآن أن تملأ فمك بالطعام وأن تلتزم الصمت"

وكان الشاب قد فعل ما طلب منه وبذلك تمّ تغيير مجرى الحديث.



الفصل الثاني

على الرغم من النعم التي أنعمها الله تعالى على والد ماريا من ناحية الذريّة وكثرة عدد الأولاد. كان الحظ قد حالفه في مجال أعماله ما جعله يتمكن من تنشئهم بما يمكن أن يطلق عليه تعبير (أسلوب حياة النبلاء) وأن يقدم إليهم كل ما يلاءم ذلك النوع من الحياة. كانت عائلة أوسغود صورة عن النسيج الاجتماعي الذي ظهر بكثرة في أمريكا حيث أصبح الكثير من العائلات يتميّز بما لديه من ثروة ويعتبر الفقر عدوه اللدود. كان الأولاد قد انغمسوا في حياة الرفاهية وكانوا يتمتعون بالثراء أثناء حياة والدهم بما قد يتمتعون به بعد وفاته.

وفقًا لذلك كان الحفل الموسيقي الذي أقيم في الليلة التالية في منزل السيد أوسغود حفلًا رائعًا وعلى الطريقة العصرية. كانت لدى تلك العائلة سبع فتيات في سن الزواج وكان كل من الوالدين يشعر كما لو أنهما كانا باعة لسلع عليهما أن يُعرضانها بأفضل ما يعود بالفائدة .كانت الثريات الرائعة والمصابيح تلمع في غرفة الاستقبال وكان كل ما في الغرفة يُشير إلى الذوق الرفيع لتلك السيدات الشابات، لكن علينا أن نقول بحقّ بأننا نستثني ماريا من ذلك المخطط المبيّت من الوالدين لأنها كانت بما لديها من شخصية مرحة وغير مبالية نادرًا ما تُفكر بالتخطيط للغد أوربما لأنها بارتباطها بشارلوت كانت قد اكتسيت درجة من عدم الاكتراث الذي لا يتميّز به أي فرد آخر من أفراد عائلتها.

ومهما كانت وجهة نظر عائلة ماريا في أسلوب اختيار الأصدقاء والمعارف في تلك الأمسية فقد نجحوا في نقطة واحدة على الأقل أنهم فقبل الساعة التاسعة كان نصف سكان المدينة من هواة الفن قد اجتمعوا هناك. كانت شارلوت هينلي من بين الحاضرين على الرغم من أنه لم يكن لديها أية معلومات عن الموسيقى كما



أنها لم تعلم كيف بإمكانها تقدير القيمة الفنية للموسيقيين لكن وجودها كان هامًّا في عالم الأزياء وبذلك كانت صديقتها ماريا قد حجزت لها مكانًا.
لكن الحقيقة التي لم يكن يعلم بها أحد حتى صديقتها ماريا هي أن كان لدى شارلوت سبب سرّي جعلها تختار المشاركة بمتعة تلك الأمسية. كان جورج مورتون سيعزف على القيثارة كان يعزف بشكل رائع وبطريقة تحرك وتثير المشاعر. لم تكن مقدرته الموسيقية من النوع الذي يجعله يلقى المديح والتصفيق بشكل عام لأنها كانت تُعتبر محدودة قليلة التنوع، لكن شارلوت كانت تجدها تُبهج النفس.
كان من بين الحضور الذي قَدموا بوقت مُبكر الشاب سيمور ديلافيلد الذي كان قد رافق الشابتين في نزهتهما في المرة السابقة. كان سيمور بعد أن قدم المجاملات الاعتيادية إلى سيدة المنزل وإلى سِرب بناتها الجميلات قد ألقى نظرة حول الغرفة بحثًا عن شخص معين لكنها كانت نظرة خيبة أمل.
لم تكن عين ماريا قد غفلت عن تلك النظرة وبذلك نظرت إليه نظرة ذات مغزى وقالت:
"سيد ديلافيلد بالمناسبة سوف أصادر قيثارتك هذه الليلة. أنا مسرورة لأنك أحضرتها لكنها قد تكون بالأحرى من نوع الكئيب هذا المساء"
ضحك السيد ديلافيلد أعلم محاولًا أن يُبدي عدم اهتمامه بالموضوع وقال:
"ما لم يتم تنشيطها ببهجة ابتسامة منك..."
أجابت ماريا: "أنا أعلم بأن ضحكتي ذاتها موسيقية لكنها قد تكون في كثير من الأحيان في غير وقتها"
قال الشاب وهو يضحك:
"لكنها نادرًا ما تُخفق في إحداث أثرها على الآخرين..."
قاطعته الشابة من جديد بالقول:
"أين شارلوت هينلي؟ أنا أعلم بأن لديها خوف من رنين العزف على الكمان لذا حاول أن يكون عزفك في الفصل الثاني"



قال سيمور بسرعة: "بإمكان المرء الآن أن يشعر بالعزاء بأنها على الأقل سوف تأتي"

وكان قد تمالك نفسه بسرعة وأضاف:

"لأن المرء يود أن يراك سعيدة بجميع أصدقائك في مثل هذه المناسبة"

قالت ماريا وقد اصطبغ وجهها بالحمرة:

"أشكرك على هذا الإحسان غير المحدود. لا تعتقد بأنني لن أشير إليه في..."

قال الشاب وقد احمر وجهه: "لا تعتبري بأنني قصدت بهذه الملاحظة..."

أجابت ماريا دون أن تضعي إلى ما يقوله:

"في الاجتماع المقبل في جميعة رعاية الفقراء الذي لست جديرة به"

كان السيد سيمور ديلافيلد قد ضحك دون أي تكلف ونظر إليها نظرة تُشير إلى أن كلًّا منهما قد فهم ما يعينه الآخر ثم افترقا لأن التحضيرات كانت قد انتهت.

كانت الموسيقى قد بدأت بعد وقت قصير جلس السيد ديلافيلد خلف كرسي إحدى الحسناوات التي كانت قد استدارت برأسها لكي تُخفي تثاؤبًا لم يكن سيمور قد غفل عنه بما لديه من حسن تصرف. وإذا به يجد أن شارلوت كانت جالسة بهدوء إلى جانب صديقتها.

انتقل الشاب إلى جانب تلك الجميلة التي شغلت تفكيره والتي لم تكن صورتها قد فارقته منذ اليوم الذي تعرف فيه عليها وقال على الفور من جلوسه:

"آنسة هينلي! شكرًا لهذه الفرصة السعيدة. توقف الآن هذا الأداء المتقن وبذلك بإمكاني الآن أن أسألك فيما إذا كنت قد ارتحت من تعب تلك النزهة؟"

أجابت الشابة وهي تنظر إليه بتعجّب كما لو أنها تريد أن تقول بأن الأفضل له أن يتحدث بشكل مباشر على الفور:

"لم أكن قد تعبت لكي أحتاج للراحة فبإمكاني أن أسير أكثر من ذلك دون أن تتسبب لي مثل تلك النزهة القصيرة بالتعب"

قال: "جئت اليوم كي تمنحينا حظوة الاستماع لعزفك على القيثارة؟"

"لا"



"على البيانو؟"

"ولا على البيانو فأنا لا أجيد العزف على أية آلة موسيقية"

"أنت إذن تجيدين الغناء؟"

"على الإطلاق!"

قال الشاب: "ماذا! وعلى الرغم من الصوت الجذاب والعذب لديك؟"

"ليس بهذا الصوت وبالتأكيد ليس أيضًا مع غيره"

شعر سيمور بالحرج وربما بخيبة الأمل، فلم يكن قد تمكن على ما يبدو أن يثير أي اهتمام في رفيقته. فنادرًا ما كان يخفق في ذلك هذا الوسيم الذي يمتلك تلك الثروة الكبيرة والذي كان دومًا يلقى الاهتمام والإعجاب من كل من حوله، لكن لم يكن هناك ما يلحظه في الموقف الحالي سوى ذلك الهدوء في أسلوب تصرف شارلوت ما يشير إلى اللطف والرقة والتهذيب في شخصيتها، وكان بذلك قد قام بتغيير الموضوع الذي كان يتحدث به وقال:

"آمل ألا يكون صديقك قد لقي الكثير من العناء بسبب مبادرته الإنسانية في الأمس؟"

وكانت إجابة شارلوت بذات الهدوء والبساطة ولكن بذات الوقت بكثير من الإحساس:

"وأنا أيضًا أتمنى ذلك بكل صدق"

تابع الشاب حديثه بالقول:

"أخشى ألا نكون نحن الذين لم نبادر بذات التصرف الإنساني الذي قام به السيد مورتون قد تسببنا بعدم تقديرك لنا..."

نظرت شارلوت بعينيها في وجه المتحدث لكنها لم تجبه.

"آنسة هينلي! صمتك هذا يُشير إلى صحة حدسي"

قالت شارلوت برقّة ولطف كان من شأنه أن يُزيل ما قد شعر به السيد ديلافيلد من خزي لم يكن يود أن يعترف به حتى لنفسه:

"عليك ألا تبني أية استنتاجات بغيضة نتيجة المقارنة بما يتصرف به الآخرون"



وكان الحديث قد توقف ببدء العزف الموسيقي من جديد والذي استمر لبعض الوقت. كان جورج مورتون ظهرخلال ذلك وقد خلع على الفور المعطف الذي يرتديه والمنديل الحريري الذي كان حول عنقه ما جلب اهتمام شارلوت على الفور. استدارت نحو ماريا وقالت بذلك الصوت الذي يشير إلى الاهتمام الكبير الذي ليس بإمكان أحد ألا يلحظه:

"ماريا، أخشى أن يكون جورج قد أصيب بوعكة برد نتيجة تعرضه للبرد! لا تطلبي منه العزف لأنه لابد أن يُلبّي طلبك"

قالت ماريا: "أووه... هل أصيب صديقك العزيز بنزلة برد؟ إن لن يعزف الليلة فما الذي ستفعلينه فأنت قد جئت خصيصًا لسماع عزفه فقط"

حينئذ سأل السيد سيمور ديلافيلد: "أهذا يعني أن الآنسة هينلي ليس لديها الأذن لسماع عزف أي عازف آخر؟"

أجابت ماريا: "الآنسة هينلي لديها الأذن الموسيقية مثلها مثل جميع الناس لكنها لا تتنازل باستخدامها سوى لسماع من تريد سماع عزفه في جميع المناسبات"

قالت شارلوت وهي تضحك:

"بل عليك أن تقولي بالأحرى بأن الآنسة هينلي تفتقر إلى تذوّق الموسيقى لذا لا تستخدم أذنيها سوى قليلًا"

قال الشاب وهو يشعر بالأسف لأن ما كان يتفاخر به ويعتقد بأنه سوف يثير به اهتمام شارلوت ليس ضمن اهتماماتها:

"أنت إذن لست مولعة بالموسيقى؟"

أجابت شارلوت: "ارتباطي بها عاطفي"

ثم اصطبغ وجهها بالحمرة وأضافت هذا ما اعتقده أحيانًا على الأقل لكن صدقني يعتقد البعض بأنني أفتقر إلى الذوق الموسيقي"

قال سيمور: "لابد أن من يعتقد ذلك لأنه يرغب ذلك"

ثم كان قد استجاب لطلب الفتيات وأسرع إلى المشاركة في العزف.

همست ماريا لصديقتها شارلوت بعد انسحابه:



"والآن ما رأيك أيتها الصغيرة المُتزمتة؟ ألا ترين بأنه وسيم ووسيم جدًّا؟"
قالت شارلوت: "جدًّا وأكثر وسامة من أي رجل رأيته حتى الآن"
"كما أنه جذاب ولطيف وتبدو عليه النبالة"
"وهو بالتأكيد أنيق كما أن وكياسته تجعله مُحببًا لمن يعرفونه"
قالت ماريا: "ما الذي ترغبين معرفته عنه أكثر من ذلك؟ أنت ترين وسامته وأناقته... وكياسته... أنت تسمعين منه ما يشير إلى الثقافة والمنطق... ما الذي تحتاجين إليه أكثر من ذلك لكي تحبينه؟"
قالت شارلوت وهي تبتسم: "حقًّا؟ أنا لا ألتفت إلى ذلك فلو كانت لديك مثل هذه النيّة عليك أن تُشبعي أنت رغبتك بذلك... أرجوك! فأنت لن تجدي أمامك أية مُنافسة من قِبلي... لكن... أصغي سوف يقوم الآن بالعزف على قيثارته"
بإمكان أي رجل يمتلك تلك الثروة أن يعزف لحنًا منفردًا دون أن يكون قط بمفرده بالنسبة لمن يستمع إلى عزفه. كانت قلوب الكثيرات قد خفقت مع أنغام القيثارة وأمام رؤى الثروة، لكن ديلافيلد كان يمتلك العديد من الأمور الأخرى التي تفتن والتي تلفت نظر الحضور. كان عزفه على القيثارة رائعاً بالفعل ويفوق جميع منافسيه. ساد الصمت القاعة وكان الجميع يصغون بكل استمتاع كل منهم يهز رأسه ويبدي استحسانه ما عدا تلك البطلة شارلوت.
كان ديلافيلد وهو يعزف قد ركزّ نظره على ملامح شارلوت وكان قد شعر برعشة هزت كيانه عندما لمح على وجهها الجميل ابتسامة استحسان. كان أخيرًا كما اعتقد قد نجح في الحصول من تلك الفتاة الرائعة على ما يشبه الإعجاب، ماجعل أدائه يصبح أكثر فأكثر روعة ومن أي وقت مضى...
كان سيمور عندما انتهى من العزف قد اقترب من مكان جلوس صديقاته وفي عينيه من الغبطة ما لا يقل سوى عن تواضعه في مقدرته على أسر الاهتمام.
قالت ماريا بحماس: "سيد ديلافيلدا! لا شك أنك عزفك اليوم قد فاق كل ما كان من جودة مستوى عزفك في أي وقت مضى"
قال الشاب وهو ينحني وبتعبير يُغني عن معرفة إلى من كان يوجه المديح:



"أنا أشعر بالكثير من السعادة إن كنت قد حظيت برضى السيدات هنا"
كان جورج مورتون قد اقترب منهم في تلك اللحظة.
قالت ماريا وهي تنظر إلى السيد ديلافيلد نظرة ذات مغزى كان قد فهمها جيدًا:
"سيد ديلافيلد! يسرني أن أقدم إليك السيد مورتون"
قال سيمور: "يسرني جدًّا أن أصافح السيد مورتون! لو سمحت لي دعني أقول لك بأنني لن أنسى الدرس الذي لقنته لي أمس"
سأله جورج ببعض الحرج وقد اصطبغ وجهه بالحمرة "بماذا سيدي؟"
"لأنك سيد مورتون قد علمتني والآخرين الفارق بين الفعالية والسلبية في العمل الإنساني... وبين ما يرضي النفس وما يعزز الخدمة"
لم يكن بإمكان مورتون أمام مثل ذلك المديح سوى أن ينحني بصمت لأن المديح كان قد تجاوز قدرته على الإجابة... وكان أيضاً فيه من المصداقية ما لا يمكن إنكاره.
وكان ديلافيلد عندما استدار لكي يرى تأثير ما قاله على شارلوت قد تلقى منها مكافأته على ما بذله من جهد نظرة سرور وعرفان نقيّة لطيفة جعلته ينسى كل ما تلقاه من مديح على عزفه، وكان باقي الأمسية يشعر برعشة من سعادة غامرة كانت بالنسبة إليه أثمن من آلاف نظرات الإعجاب التي كانت تُلقى عليه من جميع جوانب القاعة. كان كل ما اهتم به هو تلك النظرة التي تصل مباشرة إلى القلب.
لو كان بإمكان كل شابة أن تُدرك تمامًا كيف يقوم الجنس الأخر بالحكم على تصرفاتها وكم من الكثير من النظرات المُعبرة ومن الإيماءات المُدبرة بشكل ماكر سوف تتحول إلى نظرات تبين المشاعر والأهداف، لما تجشمت أية شابة العناء لخلق مناسبة عرضية سوف يتم الإعراض عنها لجلب الأنظار، والخلاصة كم قد يُوفر ذلك على الجسم والنفس!
كان استغراق السيد ديلافيلد في تلك التأملات قد توقف بسرعة بصوت ماريا أوسغود التي هتفت:



"يا الهي! جورج، أنت تبدو بالفعل مريضًا"

أجاب الفتى بصوت ضعيف وبذات الابتسامة الضعيفة:

"أنا نادرًا ما بإمكاني أن أتفاخر بصحتي الجيدة"

"لكنك تبدو اليوم بصحة أسوأ من المعتاد"

كان هناك الكثير من الواقعية في تلك الملاحظة ما جعل الفتى يبتسم بصمت بينما كان سيمور ديلافيلد الذي كان يرقب المظهر الخارجي لذلك الفتى قد التفت إلى مرآة عكست له شكله...

قالت شارلوت: "جورج! أعتقد أنك لن تحاول الليلة العزف على القيثارة"

قال جورج: "أعتقد أن علي أن أقوم بذلك لأن عليّ الوفاء بوعدي للآنسة أوسغود"

قالت شارلوت بصوت خافت لصديقتها:

"من الأفضل ألا يقوم جورج بالعزف الليلة لأنه يبدو مريضاً جدًّا"

وأجابت ماريا: "لا بالتأكيد... كما أن عزفه لن يتألق بعد عزف السيد ديلافيلد"

كان سيمور ديلافيلد قد سمع المحادثة التي كانت قد جرت بينهما ما جعله يشعر فجأة برغبة عارمة بسماع عزف ذلك الفتى. كان سيمور يعلم بأنه يعزف بشكل جيّد لكن هل كان بإمكانه أن ينسى عدم الاكتراث الذي أبدته شارلوت بعزفه لذا شعر بالسرور بذلك الإطراء والثناء السخي على موهبته.

كان جورج قد استجاب بعدذلك لطلب ربة المنزل بأن يكون بين العازفين وبذلك سُمع صوت العزف على قيثارته بعد قليل.

لم تكن شارلوت أثناء العزف المُتقن لباقي الأشخاص قد أبدت أي اهتمام لكنها كانت على الفور من بدء جورج بالعزف قد بدت الكثير من الاهتمام والكثير من القلق. كانت معزوفة جورج بسيطة وحزينة لم يكن يهدف إلى عرض استثنائي لموهبته كما كان من العسير مقارنة عزفه بعزف السيد سيمور. كان الأخير أثناء ذلك يرقب ملامح السيدة الشابة الجالسة بالقرب منه كمؤشر على تقديرها ومقارنتها لما لدى كل مهما من موهبة وكان يرغب بشدة أن يكون قد نجح في أن يكون الأفضل بينهما.



كانت ملامح وجه شارلوت في الدقائق الأولى تشير إلى القلق لكن تلا ذلك تعبير عن عاطفة عميقة وعن الكثير من الإحساس ذلك لأن هناك دومًا نوع من العدوى في تعبير المرء عن عواطفه ما يكشف دون شعور الانسجام والمشاركة الوجدانية والتعاطف...

كان سيمور قد شعر بحزن رقيق يكتنفه ويتسلل إلى مشاعره وهو ينظر إليها ولم يكن ذلك سوى انعكاس ضعيف عن الحنان الذي كان يعتلج قلب شارلوت عندما كانت تصغي لتلك الألحان التي كانت قد اخترقت أعماق قلبها. لم يكمن هناك أي شكّ بأن تأثير تلك الموسيقى على شارلوت كان يعتمد على اللحن وبأنه كان يُناشد القلب بشكل مباشر بحيث ليس بإمكان سوى أقسى القلوب أن يقاوم التعاطف مع مقدرته على التأثير.

كان صمت عميق قد ساد القاعة وبذلك تمكن جورج من إنهاء معزوفته بأكثر من الحيوية مع تزايد الاهتمام الذي لمسه من الحضور. وعندما كانت آخر النغمات الموسيقية قد صمتت التفت ديلافيلد إلى تلك العينين التي بدا فيهما نصر غير مقصود وشاهدهما بندى من الدموع التي منحتهما بريق أضاف إلى رقتهما الطبيعية...

لا شكّ أن الجمال في الدموع لا يمكن أن يقاوم وبذلك كان الشاب قد انحنى وقال بصوت كان قد عدّل من هدوء الغرفة:

"آنسة هينلي! هذا اللحن يأسر الحواس..."

قالت شارلوت بشيء من الحماس غير العادي: "أليست هذه الموسيقى تلامس الحواس؟"

أجاب سيمور: "كما أنها تلامس القلوب أيضًا لكن السيد مورتون يبدو منهكا أيضًا بعد ما بذله من جهد"

كان كل ما كانت فيه شارلوت من سرور قد اختفى فجأة. بدت علامات القلق الشديد على ملامحها وقالت بصوت خافت كان سيمور قد سمعه بصعوبة:

"ليس هذا من العدل! أن يتم أن يتم البحث عن المتعة على حساب الآخرين"



فكّر سيمور كم مقدار ما بإمكان الرجل أن يحصل على المحبة عندما ينجح في أن يستأثر بعواطف مثل تلك المخلوقة الرقيقة الشابة؟ كم يبدو هذا الشاب غير مبال بالنسبة إليها وكم هي مراعية لشعور من تحبه! علي هنا أن أثق بآمالي بالسعادة في هذه الحياة... علي أن انتصر هنا وإلا سوف أموت..."

لا يمكن أن يكون ما يشغل أفكار شخصين من أحاسيس مُتناقضة مثل شارلوت والسيد سيمور ديلافيلد.

كان سيمور لمدة طويلة قد أُتخم بمحاولات الأمهات والفتيات التقرّب منه وكان قد شاهد الكثير من المناورات الأنثوية ومن الدهاء الأنثوي، ولكنه كان قد استطاع التهرب منها ما جعل ذلك السلوك العفوي الطبيعي وغير المُتكلف المُحبب وتلك الرقّة في شارلوت يأسر حواسه ويجعله يشعر كأنه يعيش في رواية...

من المؤكد أن العديد من الأشخاص كانوا قد عزفوا تلك الليلة وكان على السيد ديلافيلد أن يصفق لهم. كان البعض قد تمنوا أن يُصغي إليهم وكان آخرون يسددون إليه نظرهم لكي يراهم، لكن لم يكن أحدهم قد أثرّ به بمثل ذلك الانطباع الهادئ وبتلك العين المُعبرة الهادئة الغرّة التي أحدثتها شارلوت...

وفي الوقت الذي كانت فيه تلك المشاعر تختلج في قلب سيمور ديلافيلد لم تكن شارلوت قد رأت فيه سوى شخصية رجل وسيم للغاية يتميز بالكثير من الكياسة وبأسلوب راقي في التصرف وهي الصفات التي من شأنها أن تثير الإعجاب، لكنها ليست مما قد يأسر قلبها بشكل غير عادي. لم يكن بالنسبة إليها سوى شخص غريب ولم تكن قد فكرت بأمر مختلف بحيث كانت ستدهش كثيرًا لو تحدث أحدهم عن أنها أحبته... كان الطريق إلى إخضاعها يقع من خلال القلب ولا يرتبط سوى بقدر قليل بمخيلتها.

كانت ماريا عندما اقترب منهما جورج قد قالت:

"أهلًا جورج! لقد تسبب لي عزفك بالحزن..."

وقالت شارلوت: "أما أنا فقد جعلني عزفك أشعر بالسرور وبالألم معًا"

قال جورج بسرعة: "ولِمَ الألم؟"



"لأنه لم يكن عليك بالتأكيد أن تعزف وأنت مصاب بنزلة البرد هذه"
كانت شفتا الشاب قد ارتجفتا وارتسمت على ملامحه ابتسامة حزينة غامضة لكنه التزم الصمت.
قالت ماريا من جديد: "لكن يأمل المرء أن يكون لعزفه على الأقل تأثيرًا جيدًا واحدًا"
سألها: "مثل ماذا؟"
"ما يشبه مايجعل الأعزاء الصغار ينامون على الفور"
قال جورج: "من الجيّد أن أكون قد قدمت على الأقل هذا الأمر الجيّد"
قال ديلافيلد: "لقد جعلت عيون من لا يبكون مطلقًا تغرورق بالدموع، وجعلت الكآبة تبدو على الوجوه التي توحي بطبيعتها بالرضى والسلام"
كان مورتون قد نظر للحظة بجدية إلى المُتحدث وكأن شعور مؤلم قد استولى فجأة على قلبه على ما يبدو... كان قد شحب وارتجفت شفتاه باهتياج لم يكن بإمكانه السيطرة عليه. كانت شارلوت وحدها من لاحظت ذلك التغيير على ملامحه وقالت بصوت خافت:
"جورج، اذهب إلى منزلك. أنت تبدو بالفعل بوضع غبر جيّد. اذهب إلى المنزل لأجلي."
قال جورج وقد علت الحمرة وجهه: "بإمكاني أن أقوم لأجلك بأمور غير مُحببة أهم من ذلك. لكنني أرى بأنك على حقّ وبما أنني قمت بواجبي فسوف أنسحب"
وكان جورج بعد أن قدم واجبات المجاملة لسيدة المنزل قد انسحب... وبانسحابه كان كل ما لدى شارلوت من اهتمام بذلك الحفل قد زال تمامًا.
كان سيمور ديلافيلد قد حاول أن يكون لطيفًا مهذبًا بشكل خاص لكن ذلك كان دون جدوى. كانت شارلوت قد أعرضت عن كل ذلك الإعجاب والولاء الذي كانت الكثيرات تتمناه والتي حسدتها عليه الكثيرات. كانت تُصغي إلى حديثه وتنحني لمجاملاته وتبتسم وكانت أحيانًا تُجيب لكن كل ذلك كان دون أي اهتمام إلى أن



تعب من جهوده غير المثمرة للتأثير عليها وبأمل إثارة بعض الغيرة لديها كان قد حوّل اهتمامه إلى صديقتها ماريا وقال:

"لم أكن قد لاحظت في الحقيقة عدد أفراد عائلتك الكريمة... كم هو عددكم؟"

قالت شارلوت وهي تضحك ما جعل الشاب يشعر بالأسف:

"اثنا عشر"، كانت تلك الضحكة طبيعية صدرت عنها دون أن تفكر بما قالته.

أضاف سيمور: "عندما ستتزوجون سوف يكون لكم عالمًا خاصًّا بكم"

قالت ماريا: "سوف يتم ذلك عندما ستسقط السماء على الأرض"

قال سيمور: "من المؤكد أنت تعتزمين الزواج!"

لم تكن ماريا قد أجابت وإنما كانت قد ألقت على ديلافيلد نظرة تعبير عن الكآبة أثارت ضحكة أخرى من صديقتها شارلوت.

تابع سيمور حديثه وهو يتظاهر بقليل من الاهتمام بإجابتها:

"لا أعتقد أنك أقسمت على ذلك"

قالت الشابة ببعض المكر: "لم يحن الوقت بعد لكي أنكث بعهدي"

"لكن ألا يمكن أن نعلم إلى متى سوف يستمر ذلك؟"

"أخشى أن يكون الأمر كذلك... ثلاثون قسمة مخيفة بالنسبة لعقار عائلي"

وكان بدء مغادرة الضيوف عذرًا استفادت منه شارلوت لكي تغادر الحفل. كان سيمور قد ودعها إلى العربة وهو يشعر بالأسف لأنها كانت غير مبالية نهائيًّا لتصرفه اللبق.

الفصل الثالث

كان السيد سيمور ديلافيلد في وقت مبكر من صباح اليوم التالي قد قرع باب المنزل الذي يقيم به والد الآنسة هينلي.

كان الشاب قد حصل على الموافقة من الشابة في الليلة السابقة بأن يكون من بين المعارف، وكان التعارف الذي تم مع والدي شارلوت قد مهدّ له الطريق لتلك الصداقة.



من المؤكد أن كل من السيد هينلي وزوجته كانا يُحبان ابنتهما وبذلك لم يكن لدى أحدهما تلك الرغبة الأنانية باحتكار أو بتوجيه مشاعرها لصالحهما طوال الحياة. كان من المؤكد ومن الطبيعي أن شارلوت لابدّ أن تتزوج ولم يكن بين جميع معارفهما من يبدو بالنسبة إليهما مناسبًا لا اعتراض عليه أكثر من ذلك المُعجب الجديد...

كانت له شخصية مُحببة وكان يتميّز بالكياسة وحسن السلوك الاجتماعي. كان ذكيًّا سريع الخاطر فكهًا ورجلًا عصريًّا، وبالإضافة إلى كل ذلك كانت لديه ثروة تقدر بثلاثين ألف دولار... فمن من الأهل من لن يجد فيه المرشح الأفضل لابنته؟ وأية أنثى من لا يمكن أن تُحرك مشاعرها مثل تلك المُغريات التي كانت في ذلك الشاب الذي تقدم بطلب الزواج من شارلوت؟

كان والدا شارلوت قد أمضيا الكثير من الساعات في التفكير بسعادة شارلوت. كانا كثيرًا ما تحاورا وتحدثا معًا حول ذلك الموضوع ووضعا العديد من الخطط لتجنيب ابنتهما بتلك البراءة وبعدم الخبرة لديها الوقوع في تلك الأخطاء التي كانت كثيرًا ما عصفت بسلام العديد من العائلات حولهما. و لكن ظهور السيد سيمور ديلافيلد كان على ما يبدو قد حققّ كل ما كانا يتمنيانه لسعادة شارلوت... واعتقد كل منهما بأنه بما يتحلى به من تهذيب الطباع و بما لديه من خيرة بعد ما قام به من جولات في العالم كانا يتوقعان أن يحرّك الإحساس المرهف لابنتهما ويجعلها تمنحه ثقتها...

أما عن موقف شارلوت تجاه إعجاب السيد ديلافيلد فسوف نتبيّنه بما سيرد في نهاية هذه الرواية.

كان السيد سيمور ديلافيلد عندما دخل ردهة منزل السيد هنيلي قد وجد جورج مورتون جالسًا على مقعد إلى جانب المدفأة. كان يبدو قد أخذ احتياطاته أكثر من المعتاد ضد البرد لكنه كان على ما يبدو يعاني من آثار وعكة صحيّة جدّية. كان الشابان قد تبادلا التحية بشيء من الحرج كان وجه جورج مورتون قد أصبح أكثر شحوبًا أما وجه السيد سيمور ديلافيلد فقد علته الحمرة وكان بعد لحظة



تأمل وبالكثير من الشعور الداخلي بعدم السرور لما لمسه من عدم الكلفة التي كانت لجورج في هذا المنزل قد تغلب على الانفعال المفاجئ لذلك الموقف وقال:
"سيد مورتون! أشعر بالكثير من الأسف بأن تكون مريضًا بهذا الشكل وبأن تكون قد تعرضت لكل ذلك بسبب موقفك الإنساني عندما كان بإمكان شخص لديه المقدرة أكثر منك على تحمل التعب بموجب بنيته الجسدية أن يُبادر إلى ذلك. كان من الأفضل لك أن تبقى مجرد مُشاهدًا كما فعلت!"
كان انحناء جورج بصمت وتهذيب يُشير إلى عدم لوم نفسه على تصرفه لكن ديلافيلد كان مع ذلك قد جلس على الكرسي الذي وضعه جورج أمامه بتهذيب وتابع حديثه بالقول:
"لكنك يا سيدي قد حصلت على مكافأتك. أنا على استعداد لمواجهة أية صعوبة أو مشقة أو حرمان بإمكان المرء أن يتعرض إليه لكي أحصل على ذلك الاهتمام والإعجاب الذي لقيته أنت من الآنسة هينلي"
قال جورج وهو يبتسم ابتسامة باهتة:
"لكن ليست هناك أية مشقة بأن يجتاز المرء بضعة أميال في عربة مريحة، كما أنني أرى بأنه ليس في مساعدة شخص بائس أي حرمان من البهجة"
وكان قد تردد قليلًا وتابع حديثه وقد توهج وجهه:
"صحيح أنني كوفئت بالتقدير الذي لقيته من الآنسة هينلي لكنني بما فعلته كنت أنظر إلى الأمر من ناحية أخرى هي عمل الخير..."
قالت شارلوت بصوتها الرقيق:
"هذا صحيح تمامًا جورج لأن مثل ذلك المديح من قِبلي لا يمكن أن يكون بتلك الأهمية بالنسبة لمن يؤدي مثل تلك الأعمال التي تقوم بها عادة"
كان الشابان جالسين بمقابل نيران المدفأة. لم يكونا قد سمعا وقع الأقدام الخفيف لشارلوت التي كانت قد دخلت المنزل لكنهما نهضا على الفور وقدما لها التحية بانحناءة صمت.



قدم إليها ديلافيلد كرسيًّا الذي وقام بالكثير من الإطراء على شكلها وعن أمور مختلفة وأبدى سروره بأن يكون له شرف زيارتهم.
لم يكن هناك اختلاف بين أمرين أكثر من أسلوب كل من الشابين في التصرف.
كان في تصرف ديلافيلد قدر رفيع من الكياسة ومن التلميح، لكنه على الرغم من أنه كان بعيدًا من أن يكون بغيضًا كان متكلفًا بعض الشيء، بينما كان تصرف الآخر بسيطًا طبيعيًّا لكنه بذات الوقت كان حاذقًا، وإن كان مقيدًا بعض الشيء بوجود الآنسة هينلي، وكانت شارلوت قد لمست الفارق بالطبع وأدركت بأن ذلك ليس من صالح جورج مورتون.
كان ذلك على ما يبدو قد جعلها تشعر بالحزن لذا كانت قد أظهرت الكثير من الاهتمام بصديقها القديم ما شأنه أن يزيل الحرج عن أي رجل ويجعله يشعر بأنه مرحبًا به. لكن الحرج الذي كان يشعر به جورج لم يكن مع ذلك قد زال وكان قد جلس يُصغي إلى الحديث كما لو أنه لا يشعر بالراحة بالبقاء لكنه بذات الوقت لا يرغب بالمغادرة.
بعد عدة ملاحظات عن حفل الليلة الماضية قال السيد ديلافيلد:
"كنت أبدي أسفي للسيد جورج قبل مجيئك بأنه ربما كان قد عجب من عدم مبادرتي في اليوم السابق وبأن التعرّض لذلك العناء يتطلب بُنية جيدة..."
قالت شارلوت بطيبة وببعض الكآبة:
"هذا ما أقوله لك جورج في كثير من الأحيان، أنت لا تمتلك تلك القدرة البدنية ومع ذلك يبدو أنك لا تُعير الاهتمام لتحذيراتي ولا لتحذيرات أصدقائك"
قال الشاب وهو يحاول الابتسام:
"هناك تحذير لم أكن سأتجاهله"
قالت شارلوت وقد صُدمت بذلك الإذعان الحزين في أسلوب الحديث: "وما هو؟"
أجاب جورج مورتون وهو ينهض وينحني بسرعة وينسحب:
"بأنني في الوقت الحاضر لا ألائم هذه الجلسة ولا القلوب التي تشعر بالبهجة كما تشعرين أنت والسيد ديلافيلد"



قالت شارلوت بدهشة:

"سيد ديلافيلد! ما الذي يمكن أن يقصده بذلك! لا يبدو جورج بوضع جيّد. لقد تغير كثيرًا في الأيام الأخيرة... ما الذي يمكن أن يقصده؟"

قال السيد ديلافيلد بعيدًا عن الشعور بالراحة تجاه ذلك الاهتمام الذي أبدته الشابة بجورج مورتون:

"إنه مريض وعليه أن يكون الآن في فراشه بدلًا من أن يحضُر جلسة صباحية حتى ولوكان ذلك مع الآنسة هينلي"

قالت شارلوت بصوت خافت وهي تحدّق بالموقد لبعض الوقت:

"إنه بالفعل يهمل العناية بصحته!"

وكان كل ما بذله السيد ديلافيلد بعد ذلك من محاولات لكي يجلب اهتمام الشابة إلى موضوع أخر قد باءت بالفشل. كانت الكآبة قد تملكتها لذا كان من حسن الحظ أن التي دخلت الغرفة الآنسة أوسغود وبذلك أعادت الحيوية إلى الحوار.

قالت ماريا على الفور:

"شارلوت! ما هذه الجلسة على انفراد؟ عليك أن تصرفي خادمك من الخدمة لأنه قال بأنك في المنزل. لكن لا يجوز أن تكون أية سيدة شابة في جلسة بمفردها... مع شاب"

قال ديلافيلد بمرح:

"هذا يعني بأن عليّ من الآن فصاعدًا أن أفهم ما يعنيه خادم السيد أوسغود عندما أطلب مقابلة ابنته"

قالت ماريا: "سيد ديلافيلد! نادرًا ما تكون لدي فرصة سماع مثل هذا الإطراء لأنني نادرًا ما أكون بمفردي مع شاب في منزل والدي"

قال سيمور: "هل السيد أوسغود متشدد إلى هذا الحد؟ لابد أن اتزان ابنته من شأنه أن يجعله يثق بها"

قالت ماريا: "شكرًا لك سيد ديلافيلد على هذا الإطراء! لكن ليس حذر السيد أوسغود فقط ما يمنع جلسة على انفراد في منزله"، وكانت ماريا



قد غيرت مجرى الحديث بأن قالت:
"قابلت جورج مورتون أمام باب المنزل وتحدثت إليه لبعض الوقت. يبدو مريضًا لكنني أعلم بأنه اجتاز ميلين في الريف. إن لن يكون هذا الشاب حذرًا ويعمد إلى الاعتناءبصحته فسوف يُدمّر نفسه".
كانت ماريا قد تحدثت بكل إحساس ما يشير إلى أن في أعماقها من الأحاسيس أكثر بكثير مما تسمح لها الفرص للتعبير عنها.
لم تجب شارلوت لكن شبه سحابة من الاستغراق في التفكير كانت قد ظلّلت نظرتها وعبرّت عن الكثير من الرقة في الإحساس كانت أشبه بنظرة الملائكة عندما يشعرون بالإشفاق على معاناة البشر... لم تكن النظرة المُتفحصة السريعة للسيد ديلافيلد ترقب شارلوت فقط وإنما كانت قد اكتشفت ذلك التغيير في الملامح على إثر لك الأحاسيس والانفعالات. وبذلك لم يكن قد تمكن من منع نفسه من القول بنبرة كان يبدو فيها الشعور بالأسف:
"في الواقع السيد مورتون رجل سعيد الحظ!"
التفت شارلوت إلى المُتحدث ونظرت إليه بعينها الزرقاوين نظرة تساؤل وتعجب لكنها ظلت صامتة. أما ماريا فلم تكن قد اكتفت بالنظر إلى السيد ديلافيلد وفي عينيها ضحكة مَخفية وإنما قالت:
"كيف ذلك فهو لا يتمتع ببُنية وصحة جيدة كما أنه ليس ثريًّا جدًّا وليس وسيمًا جدًّا وليس من عائلة عريقة فكيف تصفه بالرجل السعيد؟ ولم تعتبره رجلًا سعيدًا؟"
أجاب سيمور: "تبين لي أن بإمكان الرجل أن يكون سعيدًا بدون كل تلك الصفات المميزة"
أجابت: "وقد يكون تعيسًا على الرغم مما لديه من كل هذه الميزات"
أجاب سيمور: "كلا... كلا آنسة أوسغود! بالنسبة لتجربتي لا تصل الأمور إلى هذا الحد... أنا لست الشخص الأحمق المغرور كما يخيل إليك وكما تعتقدين"



كانت ماريا بدورها قد التزمت الصمت لكنها كانت بعد قليل قد نهضت وتوجهت إلى زاوية بعيدة في الغرفة. بدت لبعض الوقت وكأنها تتفحص بعض ما تحتويه الغرفة من لوحات التي كانت تعرف كلًّا منها جيدًا وكانت المحادثة قد توبعت من قبل صديقها.

قالت شارلوت للسيد ديلافيلد:

"لقد تسببت للآنسة أوسغود بالحزن فهي تبدو كئيبة جدًّا ليس بإمكانك أن تحكم على أحد بهذه الطريقة القاسية"

وكان الشاب قد قال بصوت خافت وكأنه يهمس لنفسه:

"هل طيبتها مُعدية في هذا الأمر؟ هل تفكر صديقتها بذات الطريقة تجاه الشخصية الرقيقة التي لا تنتمي إليها؟"

أجابت شارلوت: "سيد ديلافيلد! أنت بذلك تمدحني على حساب الحقيقة لا، ذلك سوف يكون مديحًا لي لو لم أكن فتاة وأنثى... لأنني لو لم أكن امرأة فسوف أكون شخصًا أكثر سوءًا"

قال ديلافيلد بحماسة وحرارة دون أن يتمالك نفسه: "أنت ملاك!"

كانت شارلوت قد صُدمت بالأسلوب الذي نطق به بتلك الكلمات وكانت دون أن تشعر قد التفت إلى صديقتها لكي تبحث عن حمايتها بوجودها بينهما ولكن لدهشتها وجدت ماريا على وشك المغادرة وقد أغلقت الباب خلفها.

صاحت: "ماريا! لِمَ تغادرين بهذه السرعة؟ كنت أنتظر أن تُمضي الصباح برفقتي"

أجابت الآنسة أوسغود وهي تغلق الباب بسرعة لكي تتجنب المزيد من الحديث "سوف ألقي التحية على والدتك وأعود"

لكنها كانت مع ذلك قد تركت المجال لشارلوت لملاحظة أن هناك ماجعل صديقتها تتغيّر بهذا الشكل وهو ما جعل تعبير البهجة الذي كان يبدو دومًا على ملامحها يختفي. كان وجهها قد شحب إلى حدّ كبير وحلّ محله تعبير من الحزن والمعاناة.



حاول ديلافيلد السعي لمعرفة تأثير كلماته على الآنسة هينلي لكن جهوده كانت قد ذهبت هباء لأن تلك الملاحظة لم تكن قد لفتت نظرها على الإطلاق.
ثم قالت شارلوت بعُجالة:
"ماريا ليست بخير سيد ديلافيلد، أرجو أن تعذرني لأنني سوف اضطر لتركك لبعض الوقت للحاق بها"
وكان الشاب بذلك قد انحنى واضطر للمغادرة لكن لم يكد الباب يُغلق خلفه إلا وكان صوت الآنسة أوسغود قد سُمع من جديد وهي تقول:
"لم أكن طوال حياتي بوضع أفضل من الآن سوف أذهب لرؤية السيدة مورتون لبعض الوقت آمل أن أراك هنا لدى عودتي سيد ديلافيلد"
وكان قد سُمع وقع أقدامها على الممر ثم سمع صوت فتح باب المنزل المجاور وإغلاقه خلفها... كانت شارلوت التي أدركت بأن صديقتها قد قررت لسبب لا يمكن تفسيره أن تبقى بمفردها. عادت إلى مقعدها واستغرقت بأفكارها إلى أنّ ذلك التأمل كان قد توقف بالملاحظة التالية من رفيقها:
"آنسة هينلي يبدو أنك تهتمين بجميع من تعرفينهم ما عداي"
"لم أكن أعلم بأنك كنت مريضًا سيد ديلافيلد! أهذا صحيح سيدي لم أكن قط قد قابلت رجلًا تخدع وسامته أو توحي بما عدا أن يكون بخير وسعادة"
مهما كان مقدار التجربة التي كانت لدى ديلافيلد في المناورة أو ربما في المشاعر التي تعرض عليه يوميًا من جميع من حوله، لكنه كان مبتدئًا تمامًا في عواطف قلب مثل قلب تلك الأنثى النقية البسيطة الطيبة البارعة الحاذقة.
كان قد شعر بالحيوية لسماعه تلك العبارة حول وسامته بحيث لم يكن بإمكانه أن يثمن مقدار ما عززته من حماس. ربما كان وجهه الوسيم قد أضاء بذلك الشعور الذي جعله يجيب:
"سوف أكون بصحة جيدة أو مريضًا بحسب ما تقررينه آنسة هينلي! من المستحيل أن يكون عليك أن تعيشي في هذا العالم دون أن تري وتدركي التأثير الذي لديك على سعادة المئات ممن حولك"



على الرغم من أن شارلوت كانت بسيطة غير مُشكّكة نقية ومتواضعة جدًّا لكنها لم تكن على الإطلاق غبية... لم تكن في ذلك الوقت لم تفهم الفارق بين لغة العبث وبين المديح الذي كانت تسمعه والذي كان محددًا على الرغم من أنه كان غامضًا جدًّا وهو ما يجعلها تبقى صامتة.

كان مظهر وأسلوب تلك الأنثى الشابة في تلك اللحظة ما يوحي بالتأمل لمن يحبون التمعّن بأكثر المخلوقات نقاء وطيبة.

ظلت صامتة لأنه لم يكن بإمكانها الإجابة تجاه ذلك الكلام الذي يعني كل شيء أو لا شيء... كانت الحمرة التي علت خديها قد انتشرت على وجهها بالكامل لأنها كانت ترى بأنها على وشك الإصغاء إلى اعتراف لا تسمح تربيتها وسنها بأن تسمعه أنثى دون أن يكون قد يتجاوز حدود اللياقة والكياسة بالنسبة لرهافة إحساس من هن من جنسها.

كان عيناها الزرقاوان قد أومضتا مع توهج وجهها بنظرة ألقتها على وجه السيد ديلافيلد لكنها كانت بشكل عام قد أمعنت النظر إليه بنوع من العطف وربما بالقلق عليه.

كما كانت في الواقع قد ألقت تلك النظرة بما يُشبه لمسة من الرقة الرائعة الممتزجة بالشعور بالامتنان وحتى بالاهتمام بحيث لا عجب من أن يخطىء أي رجل في تفسير مشاعرها حتى لو كان وسيما إلى حدّ الكمال.

هتف سيمور ديلافيلد بحماس:

"اعذريني آنسة هينلي!"

وكانت الاعتذار قد قُدم دون شعور لما تتمتع به من نقاء ومن منزلة نبيلة ومن كرامة.

"اعذريني لو كنت قد تجاوزت قواعد اللياقة واللباقة وتسرّعت في الإعلان عن مشاعري لكن جمالك وكياستك و... و... أين بإمكاني أن أجد من الكلمات ما يُعبر عن ذلك؟... نعم هي فتنتك التي تعني كل شيء... لم يكن بإمكاني أن أقاوم فتنتك وأن تمر مثل هذه الفتنة دون تأثير"



ربما كان ذلك التعبير عن المفاجئ وغير المُهيأ مسبقا وغير المُحدد قد تم بشكل جيّد جدًّا لكنه كان قد أخفق في انتزاع أية إجابة من شارلوت.
كانت شارلوت خلال ذلك قد شعرت بالحرج لما أضافه، وكان الشاب بعد فترة تردد قد وجد الكلمات متابعة التعبير عما يرغب بقوله وبذلك تابع حديثه بالقول: "آنسة هينلي ربما كنت قد تعرّفت
عليك منذ مدة بسيطة فقط لكن من يراك لمرة واحدة لابدّ أن يشعر بالرغبة بأن يراك يوميًّا. أرجو أن تتركي الأمل بأن أتمكن مع الوقت والاجتهاد والمثابرة على أن أعرب لك عن مشاعري وبأن تُقدّري ما لدي من مشاعر تجاهك..."
قالت شارلوت بصوت خافت لكن بذات الوقت بوضوح:
"سيد ديلافيلد! لو ابتسمت الآن فهذا ليس لما قلته وإنما لنفسي فأنا التي عشت سبعة عشر عامًا مع نفسي... مع شارلوت هينلي أكتشف في كل يوم شيئًا جديدًا في شارلوت ما يجعلني لا أشعر بالإعجاب بنفسي وإنما بما يستوجب الشجب والتوبيخ."
وكانت قد توقفت قليلًا ثم تابعت حديثها بالقول:
"سيد ديلافيلد! لن أتظاهر بأنني لم أفهم ما قصدته بحديثك فليس بما قلته ما لا يمكن فهمه كما أنني متأكدة أيضًا بأنك لن تتحدث بهذا الشكل إن لم تكن جديًّا وإن لم تكن تشعر أو أنك بالأحرى تعتقد بأنك تشعر بما عبرت عنه"
أجاب السيد ديلافيلد بدهشة:
"أعتقد بأنني أشعر؟ ألست أدرك ما أشعر به؟ هل يمكن أن أخطىء في معرفة مشاعري الخاصة؟ ربما كنت سأخطئ في تفسير مشاعرك أنت... ربما كنت أمتدح نفسي عندما اعتقدت بأنه سوف أتمكن مع الوقت وذات يوم أن أصل إلى ذلك، وبأن قسوة قلبك وعنادك لن يجعلك ترفضينني لكن بالنسبة إلي فأنا متأكد من مشاعري تجاهك..."
قالت شارلوت: "لا يتعلق الأمر بكون مشاعرك جديدة، لا... وليس لأنها تبدأ بمثل هذا القدر من الحماس، لكن من المؤكد أن مخيلتك هي التي جعلتك تقول الآن كل



ذلك، ففي الغد أو في اليوم الذي سوف يليه، ما لم تشجعك مخيلتك على التمسك بي أنا التي لا تستحق ذلك، سوف تستقر مشاعرك على شخص آخر"

"آنسة هينلي إنما يجعلني أعجب به أكثر من أي شيء آخر في شخصيتك هو هذه السذاجة وهذه الصراحة والبساطة. إنه القلب... وأنا أعترف بأنني لم أكن أتوقع منك مثل هذه الإجابة على مثل هذا الرجاء الذي عرضته عليك بكل صدق وإخلاص"

"سيد ديلافيلد! إن كنت قد أخفقت في الإجابة على أي سؤال طرحته عليّ فهذا لأنني لم أكن أفكر بأي أمر مما طرحته عليّ. وإن كنت قد أظهرت بعض المراوغة للحاجة إلى البساطة أو للإحساس فلم يكن ذلك عن قصد. أؤكد لك وأنا بذلك أثبت لك بأن بإمكاني أن ارتكب الأخطاء حتى دون أن يتمكن من اكتشاف ذلك من يعرفني منذ وقت طويل أو من هو على علاقة حميمة بي."

قال السيد ديلافيلد: "يبدو أن اندفاعي قد تسبب في خداعي لنفسي وبالألم وتسبب لك بالإزعاج. كان عليّ أن أقول بأنني أحبك بشكل كبير. بأنني أعشقك وبأنني سوف أحبك دومًا... بأنني سوف أحبك إلى الأبد... كان علي أن أطلب منك السماح لي بأن أقول ذلك لوالديك كي أرجوهم السماح لي بالاجتماع بك وبالتقدم إليك. وبأن آمل بأنهم مع الوقت سوف يوافقون على ائتماني على كنزهم، وبأنك لن تعترضي على قرارهم..."

قالت شارلوت وهي تبتسم دون تهكم أو انتصار او حتى ابتهاج:

"يعني هذا دون شك توجيه العديد من الأسئلة في وقت واحد. أليس علي أن أشعر بالارتباك ولم يمر بعد سوى أسبوع واحد على تعارفنا؟"

"آنسة هينلي أسبوع واحد يكفي لأن أتمكن من أن أعشق إنسانة مثلك على الرغم من أن قرنًا لا يكفي لأن أصف وأقدر ما لديك من ميزات... أعلميني هل تسمحين لي بأن أن أتحدث إلى والدك؟... لم أطلب منك بعد أن تبادليني مشاعري لكنني أسألك فيما سيكون أن تحبيني مع الوقت كما أحبك"



قالت شارلوت: "ربما ليس بإمكاني أن أحب الأشخاص بما يكفي لأن أشعر بالاهتمام الكبير بهم لكنني لم أجرّب بعد مثل هذا النوع من العواطف التي تصفها... وبهذا الشأن بشكل خاص أعتقد بأنك قد كونت فكرة صائبة عني... أخشى ألا تتوافق... تكون مثل تلك العواطف الجياشة مع نطاق مشاعري"

قال سيمور بحماس:

"بل هي كذلك آنسة هينلي! كل ما أرجوه أن تسمحي لي بالاجتماع بك كثيرًا وبالتحدث إلى والدك، وعلى الأقل أن آمل... أليس لي أن آمل بأنك مع الوقت سوف تجدين بي الرجل الذي بإمكانك أن تثقي به وأن تقبليه زوجًا لك؟"

كان الهدوء والصمت الذي سيطر على شارلوت خلال ذلك الحوار قد تأثر بذلك الرجاء وكانت لفترة قصيرة قد بدت في غاية الحرج، وكان ديلافيلد أثناء ذلك يحدّق بها ببهجة وحرارة مشاعر الشباب ما جعله يُفسر كل ما يشير إلى انفعالها لصالحه ويعتقد بأنها كانت تبحث عن الإجابة لذا كان قد كرّر عرضه من جديد وقال:

"على الرغم من أنني لم أكن قد عرفتك سوى منذ بضعة أيام إلا أنني أشعر وكأنني قد عرفتك لسنوات. هذا هو كما أعتقد تواصل الأرواح ببعضها البعض بحيث تعرف وتحب كل منها الأخرى بموجب الغريزة..."

لكن شارلوت أجابت:

"ليس لدي أي طموح لأن أنتمي إلى هذه الفئة فبالنسبة إليّ يجب أن أعرف الشخص جيدًا لكي أحبه قليلًا لكنني على ثقة بأنني أحمل أطيب المشاعر لكل الجنس البشري"

قال سيمور: "أنت لا تعرفين نفسك... أنت قد عشت كل حياتك إلى جوار جورج مورتون الذي خرج للتو، ما تشعرين به نحوه هو الإشفاق على مرضه فهو يبدو بالفعل مريضًا جدًّا... لكن عليك أن تتعلمي ما هو الحب! أرجو أن تمنحيني شرف محاولة... محاولة..."

قالت شارلوت وهي تبتسم: "بأن تُعلمني ما هو الحب!"



"لا... فهذه الكلمة وقحة وفظة جدًّا..."
قالت الآنسة هينلي أخيرًا بعد توفق قصير كانت تبدو قد عانت من أحاسيس عميقة وربما مؤلمة:
"أصغ إلي سيد ديلافيلد! ليس بإمكاني أن أعطيك تبريرًا لتصرفي... فربما لأنه ليس لدي أي تبرير لتصرفي الآن، لكنني أشعر بأنني سوف أكون قد ظلمتك لو شجعتك على ما تسميه بآمالك. أتمنى أن تفهمني الآن عندما أقول بأنني لا أستطيع أن أوافق على أن تتوقع بأن أصبح زوجة لك..."
كان ديلافيلد قد دهش بالطبع من ذلك الرفض الصريح الذي صدر عنها بذلك الأسلوب الواضح المحدد الذي لا يسمح حتى ببعض المعارضة.
كان إلى ذلك اليوم قد اعتاد على الحصول على القبول، وكان من عادته أن يُسيطر دومًا بشكل دقيق على أسلوبه في الحديث وعلى تصرفه ما لم يحدث ما يُمكن أن يُبرر عدم تمكنه من السيطرة على ذلك، لكنه حينذاك كان للمرة الأولى قد جازف بعرض مباشر لقي هذا الرفض القاطع؛ لذا كان في الحقيقة قد ذهل إلى حدّ كبير... وكان بعد استطاع أن يتمالك نفسه إلى حدّ ما قد استنتج بأنه كان قد اندفع وتسرّع في عرضه الزواج على شارلوت وقال:
"هذه مشاعرك حاليًا آنسة هينلي! لكنها قد تتغير مع الوقت فأنا لا أطالبك الآن بإجابة نهائية"
أجابت شارلوت: "إن لم تكن ستتغير من قبلك فأنا في الحقيقة سوف أسيء إليك إن جعلتك تتوقع ما لن يحدث قط..."
قال ديلافيلد: "ما لن يحدث قط؟... لا أعتقد بأن بإمكانك أن تتحدثين بمثل هذا التصميم!"
وأجابت شارلوت بحزم: "أنا مصممة بالفعل، وأتمسك بما أقوله."
قال سيمور: "آنسة هينلي! يبدو أنني قد خدعت نفسي عندما صدقتك عندما قلت بأنك غير مرتبطة."



قالت شارلوت: "سيد ديلافيلد! لك الحق بأن تحصل مني على إجابة نهائية على أسئلتك، لكن ليس لديك الحق بأن تبحث عن أسباب رفضي عرضك المُشرّف... أنا لا أزال... لا أزال شابة صغيرة السن ويحق لي ما يحق لبنات جنسي"
قال ديلافيلد: "يا الله كان شكي في محله أنت إذن مرتبطة!"
قالت شارلوت وهي تنهض:
"من السهل عليّ أن أقول (لا) لهذا الجزم والإصرار، لكن حقك بمعرفة السبب أمر مادي وهو ذات الحق بأن يكون لي الحق بأن أسألك لِمَ تسألني عن ذلك. أشكرك على اختياري وتفضيلي عن غيري فليس لدي سوى القليل مما لدى أية امرأة لكي أكون مُمتنة إليك لكنني أقول لك بكل صراحة وبحزم لأن من الضروري أن افعل ذلك... ليس بإمكاني على الإطلاق أن أقبل عرضك"
قال الشاب وقد شعر بالإهانة: "أنا أفهمك سيدتي... أنا أفهمك... أنت ترغبين الآن بأن أغادر... لكن لا آنسة هينلي أصغي إليّ لبعض الوقت فقط"
قاطعته شارلوت ثم اقتربت منه ومدّت إليه يدها للتحية وقالت بحرج:
"لا حاجة لأي حوار إضافي بيننا... دعنا نفترق بصفة أصدقاء على الأقل... أعتقد بأن من الأفضل لنا أن نفترق بعد أن عرف كل منا مشاعر الآخر!"

الفصل الرابع

وعلى الرغم من الطلب الجدّي من ماريا للسيد ديلافيلد بأن يظل في المكان الذي تركته فيه لحين عودتها إلا أنها لم تكن قد دهشت عندما لم تكن قد رأته في الغرفة. كانت ملامحها تُشير إلى مزيج مضحك من الحزن ومن المرح. ألقت نظرة حول الغرفة وتبين لها بأنه لم يكن هناك فيها سوى صديقتها قالت وهي تضحك:
"حسنًا شارلوت ما الذي كان سيحدث؟ أعتقد بأنني انسحبت في الوقت المناسب"
أجابتها شارلوت دون أن يتغير وضع التأمل الذي كانت فيه:
"ماريا ربما فعلت ذلك في الوقت المناسب لكنني أعتقد أن كل الأمور جيدة جدًّا"



"حسنًا أيتها الفيلسوفة الصغيرة ممتاز... أعتبر أن ذلك كان ممتازًا... لو كنت مكانك لكنت قد توقعت ذلك منذ اللحظة التي تقابلتما فيها"

"وما الذي كنت قد توقعته ماريا؟ وما البذي حدث بحسب ما خطر ببالك؟"

قالت ماريا: "ماذا! إن السيد سيمور ديلافيلد كان يتلعثم ثم بدا كئيبًا... ثم تنهد... ثم تنحنح... ثم قال إنك ملاك، لا داعي لأن تتظاهري بالحياء والاحتشام وأن تتظاهري بأنك ترفضين ذلك، وبأنه كان قد وصل إلى حدّ بعيد قبل أن أغادر الغرفة. ثم عاد لكي يتأكد بأنني لن أعود لكي أفاجئه... ثم سقط على ركبتيه... ثم مدّ يده الجميلة التي هي جميلة جدًّا بالنسبة ليد رجل... وقال لك: "اقبليها مني... اقبلي اسمي... واقبلي الثلاثين ألف دولار... لا شيء آخر! لا تنكري بأن هذا ما حدث بالحرف الواحد إلى أن أعلمته بما كانت عليه إجابتك"

كانت شارلوت قد ابتسمت وجلست بهدوء دون أن تجيب:

"أنت تدخلين في تفاصيل تجعل المرء يشكّ بأنك كنت قد مررت بمثل هذا الموقف!"

"ليس من مثل هذا الرجل! الكولونيل ديلافيلد! أو الجنرال ديلافيلد لا... بل المارشال ديلافيلد الوسيم..."

وبينما كانت الآنسة أوسغود تتحدث وهي بذلك الحماس كانت شارلوت قد دهشت من الطريقة التي تتحدث بها حتى أكثر من العبارات التي قالتها. التفتت إلى صديقتها وقالت: "هل من المعقول أن تكوني قد استرقت السمع إلينا..."

"ماذا"

"لا شيء... ما هذا الهراء!"

"دعيني أقول لك أيتها الآنسة المحتشمة بأن سعادتنا أو شقاءنا نحن فريق النساء يتوقف على مثل هذا الهراء... والآن لنقل ما الذي كانت عليه إجابتك:

قلت في البداية: "في الحقيقة سيد ديلافيلد لم أكن أتوقع ذلك -على الرغم من أنك كنت تعلمين بأنه سوف يفعل ذلك- ثم اصطبغ وجهك بالحمرة وقلت: "أنا صغيرة السن جدًّا فأنا لم أبلغ بعد السابعة عشر ... ثم أقسم لك يقسم بأنك في السبعين لا... لا... بأنك في سن تُؤهلك لأن تكوني نجمته التي تحكم حياته...



وبأن قدره بأن يعشقك... ثم تقولين بأن لك أهل كما لو أن الرجل لا يعرف ذلك وبأن عليه أن يستشرينهم... ثم يقول لك أن بإمكانك السؤال عنه من كل شخص في البلدة وبأنه يتحدّى من بإمكانه أن يقول ما يشينه..."

قالت شارلوت: "ماريا هذا بالفعل مُسَلٍّ جدًّا لكن..."

قالت ماريا: "هذا هو بالفعل بالتأكيد ما حصل. ثم كان قد أصرّ على معرفة إجابتك وكنت أنت تتظاهرين بالحياء إلى أن تمكن أخيرًا من الحصول على إجابتك النهائية التي كانت: ثم توقفت ماريا قليلًا وبدت وكأنها تدرس شكل الشخص الآخر، بينما كانت شارلوت قد ابتسمت ونظرت إلى صديقتها نظرة هادئة، ثم تابعت الحوار وهي تقول: "التي كانت...؟ (لا)... قرار لا يمكن الرجوع عنه... قرار قاس غير قابل للتغيير..."

قالت شارلوت لن أسمح لك بالقول بأن هناك شيء غير صحيح في هذا العرض الأدبي، ولن أقول بأنك لم تكوني على حق في كل ما قلته"

قالت ماريا: "اعذريني شارلوت! كنت قد قلت كل ما رويته الآن وهذا ما رواه لي السيد سيمور ديلافيلد عندما قابلته أمام الباب..."

"أهذا ممكن؟"

"بالطبع فليس بالإمكان أن يكون ما جرى بينكما خلافًا لذلك صحيح أنه لم يكن قد تفوّه بكلمة واحدة مما أعرفه لكن عينيه ومشيته كانت جميعها توحي بالكآبة كما أن شكلك يوحي بالتصميم أهذا بسبب الرفض القطعي الذي يرافقه...؟"

سألتها شارلوت: "ما الذي يرافق ذلك الرفض أهو العبث؟"

قالت ماريا: "ما يرافقه من سرّ صغير هو كبرياء المرأة التي وجدت الفرصة لإثبات شخصيتها المسيطرة"

"يبدو أنت تعلمين مثل تلك الأحاسيس من تجربتك أليس كذلك؟"



"لا يا طفلتي فأنا بطبيعتي مُحبة للإحسان للآخرين ولو كان ذلك العرض قدُم إليّ لكنت قد طلبت منه على الفور أن يقابل والدي ولو رفض كنت سأطلب منه أن يقابل والدتي"

"وماذا لو رفضت والدتك أيضا؟"

"كنت سأقول حينئذ أن إجابيتين سلبيتين تساويان قبولًا"

ضحكت شارلوت واعتقدت بأنها بذلك قد تجنّبت التفسير الجدّي. أما ماريا التي كانت هي التي تركت المجال لذلك الحديث على انفراد فكانت قد غيّرت الموضوع لأنها من النوع الذي يتجنب دومًا كل ما يتعلق بالتفسير الجدّي للأمور.

أما لو عدنا إلى شخصية الآنسة هينلي فبإمكاننا أن نقول بأن بإمكانها في أي وقت أن تتحدث عن الأمر بمحض إرادتها.

مرّ فصل الشتاء بشكل اعتيادي تخلّلته بعض الأيام المشرقة الصافية بينما كانت الأيام الأخرى باردة تعصف فيها الرياح العاتية. كان ذلك تأثيره على صحة جورج مورتون البائس وكانت نزلة البرد التي أصيب بها عندما قام بذلك العمل الخيري قد استمرت لعدة أشهر حتى مع بداية الطقس المعتدل الدافئ في شهر مايو/أيار. كان الأطباء قد أكدوا إصابة رئتيه بأذى كبير، وتلا ذلك الكثير من المعاناة والكآبة لدى والديه. كانت عائلة هينلي قد تعاطفت بحرارة مع مشاعر القاطنين في الجوار وكانت العلاقة الحميمة القائمة بين العائلتين وبين جورج وشارلوت قد ألغت جميع الرسميات. كانت شارلوت تُمضي الكثير من الوقت مع السيدة مورتون وإلى جانب المريض، وكان لوجودها إلى جانبه تأثيره الكبير عليه، كان يزوده بالكثير من البهجة والنشاط مما قد يجعل إعراضها عنه تصرفًا في غاية القسوة، وكانت شارلوت قد مع ازدياد حالة جورج سوءًا قد ابتعدت عن المجتمع... كانت خطورة وضعه الصحي قد أصبحت واضحة ومع نهاية مع شهر إبريل/نيسان لم يعد يراها أحد إلا نادرًا في الأجواء الاجتماعية، ماعدا والديها وصديقتها ماريا أوسغود.



وكان السيد مورتون وجاره قد ذهبا مع بداية الطقس الدافئ الى منزليهما الريفيين ما جعل الحميمية بين العائلتين تصبح كاملة.
أما عن السيد ديلافيلد فكان خلال تلك الفترة قد بذل محاولة أو محاولتين لتجديد محاولة التقرب من شارلوت، ثم جعله رفضها لها بإصرار يُحاول اكتشاف ما لديها من نقائص بنظره لكي يعزّي نفسه عن رفضها له ولكي يتمكن من كرهها...
لكنه بذات الوقت كان كلما استرجع أسلوب تصرفها مع ذلك كلما أدرك أكثر مقدار ما تتميّز به نقاء ومن بساطة كان التأثير الذي أحدثته عليه قد أصاب قلبه بحيث لم تعد تغيب عن مخيلته... كان مع مرور الوقت كلما فكر بشارلوت هينلي يفكر بها يفكر المرء بشيء جميل لكنه شيء يُرافقه ما يتسبب بالمعاناة. قد يبدو ذلك بعيدًا عن الرجولة والكرم لكنها كانت حالة من أصل عشر الحالات التي تنطفئ فيها مثل تلك المشاعر خاصة مع حماسة وحرارة سن الشباب في الوقت الذي كانت صورة شارلوت لا تزال تشغل مخيلته... كان قد اعتاد على زيارة الآنسة ماريا أوسغود كل يوم تقريبًا لكي يوجه إليها الأسئلة عنها وكان في سره يتوقع أن يراها في منزل صديقتها.
كان عبث الآنسة أوسغود وأحاديثها المرحة قد ساعدته كثيرًا على الخروج من جو الكآبة الذي كان فيه إلى أنه كان خلال شهر قد وصل إلى أن يُسر لماريا لها ويفضي لها بمشاعره تجاه شارلوت وهو ما كانت تعرفه جيدًا إلى أن استطاع أن يُقنع تلك المتهورة بالخيانة ولن نقول بخيانة ثقة صديقتها لكن خيانتها لها بأن تنقل إليه بعض الأمور التي يمكن أن تطلع عليها. كانت ماريا ذات يوم لدى عودتها للتو من زيارتها لصديقتها شارلوت قد وجدت السيد ديلافيلد بانتظارها. كانت قد بدأ يتحدث عن شارلوت بدون الكثير من الانفعال وبقليل من المحبة، ولم يتمكن من أن يمنع نفسه من الإشارة إلى ما يلي:
قال: "آنسة ماريا! كنتِ إذن في زيارة الراهبة الجميلة الصغيرة التي ليس لديها قلب..."



قالت ماريا: "صديقتي الراهبة الصغيرة التي ليس لديها قلب؟ عمّن تتحدث ومن التي تقصدها بذلك؟"
أجاب سيمور: "آنسة أوسغود! لم يكن لدى صديقتك شارلوت يومًا قلب! أنا أشاركك الرأي بأنها جميلة وجميلة جدًّا كما أنها نقيّة طيبّة ولديها ما يُشير إلى شير إلى أرفع الصفات لكنها بالنسبة للمشاعر الطبيعية باردة الأحاسيس لا... بل جليدية الإحساس، وبكلمة واحدة إنها (عديمة القلب)، وهي تحتاج إلى الشيء الذي يحبه الآخرون أكثر من أي شيء في المرأة وهو الذي يعجبني جدًّا فيك أكثر من أي شيء..."
كانت ماريا قد ضحكت لكن وجهها كان قد توهج أيضًا. كانت منذ وقت طويل قد أدركت بأن ديلافيلد يبحث عن التقرب إليها بعد أن رفضته الآنسة هينلي وأكثر من أية فتاة أخرى في المدينة. لكنها كانت تعلم أيضًا السبب السرّي لذلك رغم أن من حولهما لم يكن يعرف ذلك... كم كان من شأن مثل ذلك الحديث أن يرضي غرور تلك الشابة المرحة! لكن ذلك الشاب لم يكن في الحقيقة يفكر بها بشكل ايجابي عندما أشار إلى أنها تمتلك مثل تلك الصفات والمشاعر التي توحد بين بني البشر، وكان قد يضيف المزيد من الإشادة بصفاتها إلا أنها بعد لحظة كانت قد أجابته:
"من المفترض أن أشكرك ديلافيلد على هذا الإطراء، لكنني لست معتادة على هذه الأمور ما يجعلني أشعر بالحقيقة بالحياء أشبه بابنة الخمسة عشر عامًا على الرغم من أنني في العشرين!"
"آنسة أوسغود! هذا لأن لديك بالفعل تلك الأحاسيس الطبيعية. كان عليّ أن أقول كل مثل هذا الكلام لشارلوت دون أحرّك فيها أية مشاعر وحتى دون أن يؤدي ذلك إلى أن يصطبغ وجهها بهذه الحمرة التي جعلتك تبدو جميلة جدًّا"
قالت ماريا وهي تشيح بوجهها:
"الرحمة! ارحمني أو أنني سأصبح أكثر احمرارًا، لكن ليس بإمكاني أن أسمع منك الطعن بصديقتي بهذا الأسلوب لكي تُثير مشاعري... شارلوت هينلي تتمتع



بقلب كبير"، ثم أضافت: "لكي أستخدم ذات اللغة التي تستخدمها وأنا أحبها جدًّا لذلك القلب النقيّ الذي تمتلكه"

"أنت تخدعين نفسك بسبب تلك المعرفة الطويلة بينكما وهذا لما لدى لديك من طيبة ومشاعر دافئة تجعلك تخدعين نفسك. هي معتادة على أن تبدو طيبة ولطيفة مع كل من حولها وأنت تخلطين بين العادة والعاطفة"

قالت ماريا: "أقرّ بأنها معتادة بالفعل على ذلك، لكنها تفعل ذلك بما يُضيف القيمة لمشاعرها الطبيعية غير المُتكلّفة. يجب أن أعترف بأنها ليست مثل بعض الأشخاص حزمة من المواد المشتعلة بحيث تشتعل أمام كل شرارة تقترب منها لكنها تحب كل من عليها أن تحبهم جدًّا وأخشى أنها تحب جدًّا من ليس عليها أن تحبه..."

صاح ديلافيلد: "تحب شخصًا عليها ألا تحبه؟ حقًّا! ماذا أهو المستشفى في قلبها؟ هل بإمكان الآنسة هينلي الباردة العواطف المحتشمة أن تتساهل بارتباط غير مناسب؟"

قالت الآنسة أوسغود بجدّية: "سيد ديلافيلد! لم يكن عليّ أن أخون صديقتي بإفشاء سرّ علي أن أخفيه على الرغم من أنني مخلوقة طائشة كما أبدو، لكنني كنت قد تحدثت بشكل غير حذر، وعليّ أن أفسرّ الأمر قبل كل شيء. لن أدعك تفترض أنني وشارلوت هينلي نتحدث عن مشاعرنا وعمن نحبهم كما تفعل الفتيات في المدارس. لو كنت أعلم بأن لديها شيئًا من القلب فهذا ليس منها وإنما بموجب ما لديّ من ملاحظة. أما بالنسبة لمن يحبونها فبالإمكان أن يكون لديها الكثير منهم كما أعلم لكنني لا أعرف شيئًا عنهم... لا تقاطعني فأنا لا استجدي المحبين... أما بعد هذا التفسير فسوف أقول لك سيد ديلافيلد لو سمحت أنني أؤمن بأنك تمتلك قدرًا كبيرًا..."

قال ديلافيلد بحماس: "بإمكانك ذلك... بإمكانك ذلك... لن اخون ثقتك قط... بإمكانك أن تثقي بي وبكلمة شرف أعدك بها!"

قالت الشابة وهي تحاول إخفاء ابتسامتها:



"أتمنى ألا نعود أنت وأنا إلى مثل هذا الحديث... فنحن نتحدث عن شارلوت هينلي وعنها فقط. لقد نشأت منذ طفولتها وهي ترى جورج مورتون بشكل يومي الذي لابدّ لك أن تُقرّ كما أعتقد بأنه له قلبًا وسوف يكلفه ذلك حياته..."

سأل سيمور: "سوف يكلفه ذلك حياته؟"

"أخشى ذلك. هذا بدون أمل لأن نزلة البرد التي أصابته وهو يرافق ذلك الشخص إلى المستشفى في الشتاء السابق قد أدت به إلى التردّي شيئًا فشيئًا..."

قال سيمور: "أنا أعلم بأن شارلوت تميل إليه لكنها لا تحبه... هذا يبدو جليًّا فما تشعر به هو الكثير من المودة لكن ذلك ليس بالحب!"

"نعم... كما يشعر المرء تجاه أخيه"

"ليس لديها إخوة ولست هنا في مجال الحكم على مشاعرها لكنني أعتقد مع ذلك بأنه لو بقي على قيد الحياة وتقدم إليها فسوف تتزوجه وسوف تكون له الزوجة التي سيحسده عليها أي رجل."

"ماذا! أتعتقدين بأنها تحبه رغم أنه لم يتقدم إليها وبأنها كانت مع ذلك قد رفضتني رغم أنني طلبت يدها كما لو كنت عبدًا لها"

"لا يتعلق الأمر بأن يطلب يدها فقد عرفها طوال حياتهما... ألم يكن قد أبدى له إعجابها... ألم يكن قد حقق دومًا ما تتوقعه منه و... و... وباختصار كان قد فعل دومًا ما جعله يكسب محبتها."

"أنت تعتقدين إذن بأنني كنت قد أخفقت وأخطأت في الأسلوب الذي تقربت به منها"

قالت ماريا: "ربما كنت ستنجح بتسعة من عشرة مع أية فتاة لكن ليس مع الآنسة شارلوت هينلي... على كافة الأحوال لقد فات الأوان الآن... لقد تأخرت جدًّا"

قال سيمور: "لم أتأخر بالتأكيد ما دامت لم ترتبط بعد بأي شخص حتى الآن"

أحابت ماريا وهي تضحك وتنهض من كرسيها:



"لن أناقش الآن معك موضوع محبتك لشارلوت... دعنا الآن نقم بنزهة بدلًا من أن نغلق الباب على أنفسنا في مثل هذا الصباح الجميل... يجب أن نتوقف عن التحدث في هذا الموضوع"

كان السيد ديلافيلد قد تقبّل العرض وانطلقا في جولتهما وكانت ماريا أثناء ذلك قد تفادت كل محاولة للعودة إلى مناقشة ذلك الموضوع. لأنها كانت قد شعرت بأنها قد تمادت... وربما كان في ذلك أيضًا ما يجرح مشاعرها الشخصية.

كان ذلك التفسير تأثيره الكبير مع ذلك لإزالة كل ما في نفس السيد ديلافيلد من سوء فهم للمحبة. وبدلًا من أن تكون عواطفه مرتبطة بالآنسة هينلي كان ذهنه قد امتلأ بصورة جورج مورتون إلى جانب صورة تلك الشابة التي أحبها بجنون وبذلك كان توقف عن التحدث عن الأمر برمّته.

كما كان هناك ما نجم على ذلك الميل القصير الوقت لماريا. لم يكن هو بالذات قد شعر به وإنما كان من يهتمون بالأمر قد لاحظوه كان قد اعتاد على أن يكون باستمرار برفقة ماريا أوسغود... كان قد بدأ يشعر بأن وجودها إلى جانبه ضروريًّا لكي يشعر بالعزاء والراحة. ولدهشة كل من في البلدة كان السيد سيمور ديلافيلد الوسيم الثري المرح المثقف قد تقدم بطلب يد الابنة العادية للسيد أوسغود الذي لديه العديد من الأولاد والذي لا يمتلك ثروة كبيرة...

كان من العسير على ماريا أن تُخفي ما شعرت به من سرور وهي تبتسم إلى السيد سيمور عندما طلب يدها ولكنها كانت مع ذلك قد أخفت ذلك الشعور بالفرح وطلبت منه أن يلتقيا لبعض الوقت بشرط ألا يعتبر ذلك بمثابة الارتباط بينهما.

الفصل الخامس

في الوقت الذي كانت تلك المشاهد والتوقعات السعيدة تحدث بالنسبة لمستقبل حياة صديقتها كانت شارلوت هينلي تمرّ بظروف مختلفة تمامًا في حياتها في الريف. هناك مع ذلك دومًا نزعة لدى من هم في سن الشباب لاحتمال الأحداث التي قد لا تؤدي في الحال إلى الكآبة. كانت حالة الاعتلال الجسدي لجورج مورتون



واحدة من جميع الأمور الأخرى التي كانت قد اقتربت من نهايتها. وحتى أن والديه على الرغم مما كان لديهما من تجربة نضج، كانا قد خدعا بالمظاهر واعتقدا بأن مرضه سوف تنتهي مع بدء فصل الصيف، كانا يأملان بتلك النتيجة، واعتقدا بأن الشباب والهواء العليل في شهر حزيران/يونيه سوف يقهر ويهزم ذلك العدو... لكن مقدرة ذلك الشاب البدنية التي كانت قد بدأت تتراجع يومًا بعد يوم.

كان ذلك حدَثًا متوقعًا تجلّى بعدم شهيته للطعام وبذلك الاحتجاز الطويل لكن ذلك البريق في عينيه وذلك التألّق الناري الذي كان يبدو في بشرته في بعض الأوقات كان يضيف إلى قلب شارلوت الفتيّ المخلص الكثير من الجذل وإن كان ذلك سرًّا.

كان ذلك الوضع بين انتعاش الأمل والقنوط المؤقت السريع الزوال قد استمر لعدة أسابيع إلى كانت تلك الفتاة المُحبة قد دخلت ذات صباح إلى غرفة جورج في منزله المجاور لمنزلها ووجدت المريض مضجعًا على أريكة يبدو وكأنه في حالة تأمل مع ذاته. كان بمفرده. كانت النوافذ مفتوحة وكان هواء شهر يونيه/حزيران المنعش في الغرفة يُضفي في الواقع بعض النشاط على أعضاء الشاب المريض، كان التوهج قد عاد إلى وجنتيه بمفعول أشعة الشمس وانعكاسها على الستائر الوردية اللون ما جعل شارلوت تُشاهد فيه عودة لون العافية الذي كان قد اختفى لمدة طويلة.

هتفت بصوت أشبه بالموسيقى عززه تلك البهجة التي شعرت بها:

"جورج! أنت بوضع أفضل بكثير هذا الصباح... سوف نراك عما قريب بيننا... عليك حينئذ أيها المهمل أن تحترس وألا تعمد إلى أن تبدّد من جديد أفضل نعمة من نعم الله عليك... ها قد حلّ الصيف بطقسه الجميل المعتدل. كان الشتاء الكئيب قد جعل وجهي يصبح شاحبًا وقد بدأ اللون يعود إليه أشعر وكأن وجنتي تلتهبان"



كان جورج بينما كانت تتحدث قد رفع رأسه من ذلك الوضع من التأمل وابتسم بضعف وبتعبير من الكَرب لكنه كان عندما توقفت عن الكلام وجلست بالقرب منه وهي لا تزال تنظر إلى ملامحه وأخذ بيدها بين يديه قبل أن يُجيب.

كانت شارلوت قد دهشت قليلًا من أسلوب تصرفه الذي تجاوز أسلوب عدم الكلفة المُعتاد حتى في أحاديثهم الودية ما جعل اللون يختفي من وجهها بسرعة ثم يعود للاحمرار.

كان جورج قد قال أخيرًا بصوت خافت مرتجف أجوف:

"شارلوت العزيزة! هل يبدو لك بأنني بوضع جيد جدًّا؟ أعتقد بأنك على حق سوف أصبح عما قريب بوضع أفضل... بوضع أفضل بكثير"

قالت شارلوت: "ما الذي تقصده جورج هل تشعر بأنك بوضع أسوأ؟ هل أزعجتك بوجودي وبما أبدو فيه من مرح دون مراعاة شعورك..."

كن الشاب قد قد ابتسم من جديد لكن تعبير وجهه لم يعد ممزوجًا بالمعاناة وإنما كانت نظرة عرفان بالجميل ومحبة قد علت ملامحه أشبه بشعاع من الشمس أبهج أحد أيام الشتاء الكئيبة.

أجاب بصوت مرتجف كما لو كان فيه الكثير من التعاطف:

"أأنت تزعجينني شارلوت؟ أنا متأكد من أنني لولا وجودك إلى جانبي لكنت قد أصبحت في قبري من زمن طويل"

قالت شارلوت: "لا جورج... لا... هذا موضوع كئيب جدًّا دعنا نتحدث عن استعادك لعافيتك عما قريب"

كان جورج قد ضغط بيدها على قلبه قبل أن يجيب وقال:

"شارلوت أنا أعلم بأنني لن أعود إلى عافيتي قط... انتهت حياتي في هذا العالم وقد أصبحت منذ اللحظة أنتمي إلى عالم آخر بهذا الجسد المريض يعلم الله أنني أشعر بذلك"

أجابت شارلوت: "جورج! جورج! أنت بالتأكيد تقلق نفسك دون ضرورة لذلك"



قال جورج بوهن: "لست أُقلق نفسي. لقد توقعت هذا الأمر الواقع منذ مدة طويلة... أنا أشعر باقتراب النهاية... لكنني بفضل الله تعالى، أجد نفسي مهيّئًا لذلك إلى حدّ ما. ومع ذلك فأنا أشعر بأنه من المستحيل عليّ أن أنتزع نفسي من مشاعر الحياة بينما لا تزال الحياة تنبض في عروقي... أنا أعلم بخبرتي بأن تلك المشاعر يجب أن تتوجه إلى العالم الآخر، لكنهذه المشاعر ليست بالمشاعر غير النقية وليست بالمشاعر الأنانية... لا شيء عن العالم الآخر يمكن أن يشاركك شارلوت الغالية عندما تكون صورتك مرتبطة بأفكاري"

قالت شارلوت بأسى: "أووه جورج... لا تكن قاسيًا إلى هذا الحدّ هذا الصباح! فكل ملامحك تتناقض مع هذا الحديث الكئيب أنت بوضع أفضل... أنت بالفعل بوضع أفضل... يجب أن تصبح بوضع أفضل، وأنت بوضع أفضل... يجب أن تكون كذلك..."

كان قد وضع يده على جبينه الرطب وهو يبتسم كان يكافح أقسى المشاعر التي تشغل قلبه الشاب وتستحوذ على أفكاره

تابع حديثه وقال:

"عزيزتي الآنسة شارلوت لم تعد هناك أية ضرورة للصمت وأنا على شفير حافة القبر وفي اللحظة التي يجب أن تكون فيها جميع الأفكار مرتبطة بصورة الموت. كنت طيبة جدًّا تجاهنا كما أنت طيبة تجاه الجميع لكن بالنسبة إلي كان تعاطفك معي قد جلب إلي العزاء والسعادة..."

كانت الآنسة هينلي قد نظرت إليه بعينين دامعتين أشرقتا بوميض بأكثر من الإنسانية وكانت شفتاها قد ارتجفتا لكن صوتها لم يكن قد سُمع.

"نعم شارلوت بإمكاني أن أتكلم الآن دون أن أخشى من أن أكون أنانيًّا ودون ظلم وجور. لقد أحببتك منذ زمن طويل... كم أحببتك... أحببتك بكل صدق وبكل نقاء... أحببتك محبة لا يمكن أن يعرفها أحد... لكن هل بإمكاني وأنا الآن متأكدا من قدري وأنا اعلم بان أيامي في الحياة معدودة وبأن شمس حياتي لا يمكن أن تصل إلى الأوج الذروة... أن أطلب منك أن تحبيني لكي يجلب لك حبي الشقاء؟



لا... أيتها الغالية! أنا أعلم بأن قلبك الرقيق سوف يحزن كثيرًا على الشقيق والصديق ولا حاجة لأن يشعر بأكثر من ألم"

أخذت شارلوت تنتحب بشدة، وقالت:

"جورج! جورج! لا تفكر بي تحدث عن نفسك... لو كان بإمكاني أن أجعلك تشعر بالبهجة في هذه اللحظة بأن تعلم كم أشعر بالتقدير نحوك فلن يمنعني الاحتراس من أن أبوح لك بذلك..."

كان الشاب قد ذهل. ألقى عليها نظرة بهجة ممتزجة بالحزن وهتف:

"شارلوت! هل أسمع جيدًا؟ هل أنا بائس إلى هذا الحد؟ هل أنا سعيد إلى هذا الحد! كرّري ما قلته بسرعة... بسرعة فقد بدأت أشعر بانتشار الغشاوة على عينيي... هل تخدعني حواسي؟"

قالت شارلوت بحزم: "جورج مورتون عليك أن تعيش... أنت بوضع أفضل. ملامحك تدلّ على ذلك... وبالعناية والحنان من زوجة محبة سوف تحافظ لك على صحتك... سوف تعيش طويلا وسوف تكون بركة لمن يحبونك..."

كان الشاب قد مد يده نحو ها بتضرّع بينما كانت تنطق بتلك الكلمات بتلك المودة الصادقة. كانت قد أعطته يدها التي وضعها على قلبه والتي ضمها إلى صدره بحرارة وعندما كانت قد تراخت كان جورج قد سقط على الأريكة وفارق الحياة دون عناء.

لن نطيل في وصف المشهد الكئيب الذي تلا ذلك.

لم تكن شارلوت هينلي قد شوهدت في تشييع جورج مورتون... ولم يكن هناك من علم بتلك الروابط العاطفية القوية التي كانت تربط بين الشابين، كما لم تكن شارلوت قد كشفت للعيان عن حزنها بملابسها ما عدا ببعض الأشرطة البيضاء. كانت الشائعات الأولى التي قالت بأنهما كانا مرتبطين قد كُذبّت لأن علامات وآثار الحزن لم تكن قد بَدت بشكل واضح على شارلوت. كانت شارلوت عندما حلّ فصل الصيف بما فيه مناسبات بهيجة قد ظهرت من جديد وأخذت مكانها في المجتمع على الرغم من أن خديها كانا قد فقدا ذلك الاحمرار الخفيف الذي كان



يجعلها أكثر جمالًا. كانت أقل تألقًا في مظهرها لكنها كانت مع ذلك أكثر جاذبية وجمالًا
كان عدة شبان خلال فصل الشتاء قد تقربوا منها بنيّة طلب يدها وكانت قد تقبلت ذلك بكل كياسة وتهذيب لكن بذلك الأسلوب من الارتباك الذي يُشير إلى عدم وجود أي أمل بالقبول.
وكان أحد المعجبين بها قد تقدم مع ذلك لطلب يدها لكنه قوبل برفض لطيف لكن ذلك الرفض كان رفضًا حازمًا ما جعل ذلك الشاب أسوة بجميع الشبان الذين كانوا يرون أن سعادتهم تتوقف على الزواج من شارلوت قد رغب بمعرفة فيما إذا كان هناك منافسًا له... وكانت إجابتها ببساطة بالنفي القاطع...
أما سيمور ديلافيلد فكان في ذلك الوقت بعد أن ألقى نظرة رغبة وتوق وحنين واحدة إلى شارلوت قد أصبح زوجًا لصديقتها.
مر ّعدة أعوام على تلك الأحداث كانت الآنسة هينلي خلالها قد استمرت على ما كانت عليه ما عدا بما يتعلق بمظهرها، كان تألّق جمالها قد تحوّل إلى نظرة ذكية ورقّة مُتناهية كانت على ما يبدو تتناسب مع التغيير الأخير الهام الذي طرأ على حياتها. لم تكن مطلقًا تذكر اسم جورج مورتون، وكانت السيدة ديلافيلد قد صّرحت بأنه الموضوع الذي لا تجرؤ مطلقاً على الاقتراب منه...
لم يكن في رفضها المُتكرر لطلبات الزواج التي تلقّتها ما يُشير إلى ما تعرّض إليه قلبها من أسى. كان والدها قد توفي لكن والدتها كانت قد عوضتها عنه تمامًا أما مع أصدقائها فكانت تبدو دومًا مبتهجة وسعيدة على الرغم من أن المرح البريء الذي كان في طفولتها قد انتهى... كان ذلك الحزن يخونها في بعض الأوقات، وإن لم يكن بتلك الحدة... لكنها لم ترغب بأية علاقة بأي شخص آخر لأنها لها قلبًا واحدًا... قلبًا كانت قد منحت نقائه وإخلاصه وصدقه من زمن لذلك الشخص الذي توفي... قلب لن يكون مطلقًا لأي شخص آخر سواه.
على الرغم من أن شارلوت هينلي لم تكن قد حققت الهدف الأساسي من حياتها بأن تصبح أمًّا إلا أنها سوف تبقى لمن درسوا شخصيتها مثالًا في استقامة



مشاعرها... وسوف يجدون فيه ما يكفي لتعليمهم ما هي الصفات المميزة التي تشكل أثمن ما يُشكّل الشخصية المتفانية التي كرست نفسها لمن أحبته لكي تتعلم من ذلك بنات جنسها. كانت الآنسة هينلي قد جعلت نفسها مثالًا للكرامة التي تُميّز الأنثى بأن أثبتت للعالم الفارق بين الحنان والمحبة الحقيقية، وبين الإخلاص في المحبة والهوى المؤقت...

وباختصار كانت تعيش على غرار الحياة التي تعيشها بنات جنسها لكنها ظلّت مُتحرّرة من أية التزامات عاطفية وفاء لمن أحبته...



الرؤية

Vision

للكاتب رابندرناث طاغور

1

كنت وأنا لا أزال زوجة شابة قد أنجبت طفلًا ميتًا. كدت أموت أنا أيضًا لكنني عندما بدأت أستعيد صحتي وببطء شديد كان نظري قد بدأ يضعف بالتدريج شيئًا فشيئًا.

كان زوجي في ذلك الوقت لا يزال يُتابع دراسته في كلية الطب، وبذلك كان قد وجد في ذلك فرصة لتجربة معلوماته الطبية عليّ وكان قد أصرّ على معالجة عينيّ بنفسه.

كان شقيقي الأكبر سنًّا الذي كان يُتابع دراسة القانون في كلية الحقوق الذي جاء لزيارتنا بعد فترة وكان قد صُدم جدًّا عندما شاهد وضع عينيّ وقال لزوجي:

"ما الذي تفعله بحق الله؟ سوف تقضي على عيني كيمو... عليك استشارة أحد الأطباء الأخصائيين على الفور"

لكن زوجي كان قد أجابه بنزق:

"ما هو العلاج الأفضل الذي قد تتلقاه كيمو من أي طبيب آخر جيد كما تقول... أكثر مما أقوم به أنا؟ هذه الحالة من الحالات البسيطة جدًّا كما أن علاجها معروف تمامًا"

وكان شقيقي داد قد أجابه بازدراء:

"أظنك تعتقد بعدم وجود أي فارق بينك وبين أستاذك في كلية الطب"



وأجابه زوجي بغضب:

"أعتقد أنك لو تزوجت ذات يوم وحصل خلاف بينك وبين زوجتك حول الأمور المالية، فلن تطلب حينذاك مشورتي حول الأمور القانونية، فلِم تأتِ الآن لكي تُشير علي بأمور طبية تخصّ مهنتي!"

وكنت قد قلت لنفسي حينذاك وهما يتشاجران:

"العشب دومًا أكثر من يعاني عندما تحدث الحروب بين اثنين من الملوك" -مثل هندي-. وبذلك عليّ أنا الآن أن أحتمل الكيّ بالنار...

كما بدا لي أيضًا بأنه ليس من العدل أن تتدخل عائلتي في حياتي الخاصة بعد زواجي... وبأن سعادتي ومعاناتي هما في نهاية الأمر من شأن زوجي وليستا من شأنهم.

كانت العلاقة بين زوجي وشقيقي قد بدأت توتر أكثر فأكثر منذ اليوم الذي حدث فيه الخلاف بينهما حول عينيّ.

كنت قد دهشت عندما جاء شقيقي لزيارتي ذات يوم في غياب زوجي مصطحبًا معه أحد الأطباء وكان قد طلب منه فحص عينيّ. كان الطبيب بعد أن أجرى فحصًا دقيقًا لعينيّ بكل عناية واهتمام، قد بدا جديًّا للغاية وقال لشقيقي بأن هناك خطورة على بصري لو استمر هذا الإهمال في إتباع العلاج المناسب ثم كتب لي وصفة وطلب من شقيقي جلبها لي على الفور.

وعندما غادر الطبيب الغريب كنت قد رجوت شقيقي ألا يتدخل في الأمر لأن زيارة هذا الطبيب التي تمت في الخفاء من شأنها أن تتسبب في خلق المشكلات بيني وبين زوجي.

لكنني كنت بعد ذلك قد عَجبت من نفسي، ومن أن أكون قد تجرأت على التحدث مع شقيقي الأكبر بتلك الطريقة وكنت منذ ذلك الوقت قد بدأت أخشاه لأنني أدركت بأن شقيقي كان قد استغرب تصرفي ووقاحتي تجاهه.

ظلّ شقيقي صامتًا لبعض الوقت ثم قال لي:



"حسنًا كيمو، لن أزورك مع أي طبيب بعد الآن، لكن عليك أن تستخدمي ما وصفه لك هذا الطبيب فقط من أدوية"

بعد أن غادر شقيقي وصلني الدواء من الصيدلاني... زجاجات وذرور ووصفات تركيبية... لكنني كنت رميتها بأكملها في البئر لكيلا أتسبب بأي حرج لزوجي... وكان زوجي الذي تضايق جدًّا من تدخل شقيقي، قد بدأ يُعالج عينيّ بأكثر من المتابعة والاهتمام. كنت قد عَصبت عينيّ كما طلب مني، وارتديت النظارات الطبية واستخدمت القطرات التي وصفها لي. وشربت زيت كبد الحوت الذي أعطاه لي على الرغم من أنني كنت أشعر بالغثيان كلما شربته.

وكنت في كل مرّة يعود فيها زوجي من المشفى الذي يعمل فيه ويسألني بقلق عن وضع عيني، أجيبه:

"أووه! لا بأس هي الآن أفضل بكثير..."

كنت قد أصبحت خبيرة في خداع الذات أيضًا لأنني عندما كنت ألحظ أن الماء الذي ينضح من عيني كان يتزايد وباستمرار، كنت أعزّي نفسي بفكرة أن من الجيّد أن أتخلص من كل ذلك السائل الضار. ثم بدأ السيلان من عينيّ يتناقص بعد فترة من الزمن وكان في ذلك ما جعل زوجي يتفاخر بمهارته في علاجي.

لكن معاناتي أصبحت بعد ذلك لا تُطاق. كان بصري قد بدأ يبهت بالتدريج، كما كنت أصاب باستمرار بصداع شديد أثناء الليل...

لاحظت حينذاك بأن قلق زوجي قد بدأ يتزايد، كما تبيّن لي من أسلوب تصرفه بأنه كان يبحث عن ذريعة لمراجعة طبيب آخر. وبذلك كنت قد نوّهت إليه بأنه قد يكون من المفيد أن نطلب مشورة أحد الأطباء الزملاء ولكن على سبيل الاستئناس فقط، وكان بإمكاني أن أتبيّن بأنه كان بذلك قد تحرّر من الكثير مما كان يُثقل عليه، وكان في ذات اليوم قد استدعى أحد الأطباء الإنكليز وطلب منه فحص عينيّ. لست أدري ما دار بينهما من حديث، لكنني استطعت أن أستنتج بأن الطبيب الزميل الذي تحدث إليه بكل حدّة كان يوجّه إليه اللوم.



ظلّ زوجي صامتًا لبعض الوقت وكنت بعد مغادرة الطبيب قد أخذت يده بين يدي وقلت:

"كم كان ذلك الطبيب جلفًا في أسلوب تحدثه إليك! لِمَ لمْ تطلب رأي أحد الأطباء الهنود؟ ربما كان ذلك أفضل بكثير. هل تعتقد بأن ذلك الطبيب يعرف أكثر مما تعرفه أنت عن وضع عينيّ؟"

ظلّ زوجي صامتًا تمامًا ثم قال بصوت مُنكسر:

"كيمو! سوف تحتاج عيناك إلى عملية جراحية..."

تظاهرت بأنني صُدمت، ولكن ليس لما قاله الطبيب، وإنما لأن زوجي كان قد أخفى عني هذه الحقيقة طوال المدة السابقة وقلت:

"لابد أنك كنت طوال الوقت على عِلم بوضع عيني، لكنك لم تُعلمني بحقيقة الأمر! فهل تعتقد بأنني طفلة صغيرة وبأنني قد أخاف من إجراء مثل تلك العملية؟"

وكان لما قلته أثره الكبير في استعادة زوجي لمزاجه الجيّد وبذلك قال لي وهو يبتسم:

"القليل جدًّا من الأشخاص، وحتى من الرجال، من لديهم شجاعة التعرّض إلى مداخلة جراحية دون خوف..."

كنت قد ضحكت وقلت: "نعم! هذا هو الأمر بالفعل الرجال أبطال أمام زوجاتهم فقط..."

لكنه نظر إلي بجديّة وقال:

"أنت على حق تمامًا... كما أننا نحن الرجال مُتكبرون بشكل مخيف."

وكنت قد ضحكت أيضًا لكي أخفف من جديّة الموقف وقلت:

"أأنت متأكد أن بإمكان الرجال أن يكونوا أكثر تكبرًا من النساء؟"

وكنت عندما جاء شقيقي داد لزيارتنا من جديد قد أخذته جانبًا وقلت:

"ربما كان بإمكان الطبيب الذي أحضرته إلي أن يُفيدني جدًّا لكنني مع الأسف كنت قد أضعت الورقة التي تضمنت الوصفة التركيبية للقطرات، وبذلك بدأ وضع عينيّ يسوء بالتدريج، بحيث أصبحت الآن بحاجة إلى مداخلة جراحية."



لكن شقيقي قال لي: "لابد أنك كنت تستخدمين ما يصفه لك زوجك من علاج، لذا لم أعد أرغب بزيارتك."

أجبته: "لا... الحقيقة أنني كنت استخدم العلاج الذي وصفه لي طبيبك ولكن في السرّ."

آه!... كم من الأكاذيب التي قد تضطر إليها النساء! فالمرأة تكذب عندما تكون أمًّا لكي تهدئ من روع أطفالها، وهي تضطر إلى الكذب عندما تكون زوجة لأجل آباء أطفالها... نحن لسنا أحرارًا في أي وقت...

كانت لخدعتي تلك أثرها في تخفيف ما كان بين زوجي وشقيقي من برود، وبذلك كان شقيقي قد لام نفسه لأنه أخفى الأمر عن زوجي، وكان زوجي من ناحية أخرى قد ندم لأنه لم يكن قد عمل بنصيحة شقيقي منذ البداية.

ثم كنت بالاتفاق بين الاثنين زوجي وشقيقي، قد راجعت أحد الأطباء الإنكليز.

كان ذلك الطبيب قد أجرى عملية جراحية لعيني اليسرى على الفور، لكن تلك العين كانت قد أصيبت سابقًا بضعف شديد ولم تعد تحتمل الجهد وبذلك كنت قد فقدت آخر شعاع من نور البصر فيها، كما كنت بعد ذلك قد فقدت بصري بالتدريج في العين الأخرى...

كان زوجي قد جلس إلى جانبي ذات يوم وقال:

"كيمو! لم يعد بإمكاني أن أواجه الأمر أمامك بهذه الصفاقة، عليّ أن أعترف بأنني كنت السبب في فقدانك بصرك"

شعرت حينذاك بأن صوته كان مُتهدجًا وبأنه يبكي، وبذلك أخذت يده بين يدي وقلت:

"لِمَ تقول هذا! بل كنت على حقّ تمامًا. كما أنك كنت قد تعاملت مع الموضوع كما لو أن العين كانت عينك. تصوّر فقط لو أن أحد الأطباء الغرباء كان من تسبب بفقدي البصر، فما الذي كان قد يُعزّيني حينذاك؟ بينما أنا أشعر الآن بأن كل شيء كان قد تم بأفضل ما يمكن... وما يُعزيني أكثر من أي شيء آخر هو أن أكون قد فقدت بصري على يديك. لابد أنك تذكر قصّة الناسك الهندي (راشماندرا)



فهو عندما وجد بأن زهرة لوتس واحدة قد تكون قليلة جدًّا لتقديمها قربانًا لله... كان قد قدم عينيه الاثنتين قربانًا. أنا الآن أقدم إليك عينيّ... كل ما عليك الآن هو أن تصف لي كل ما تراه حولي من بهجة ومن متعة وسوف أشعر بكلماتك بأن الله عزّ وجلّ قد ترك لي هدية قِدسية بوجودك مُبصرًا إلى جانبي..."

لست أقصد بالطبع بأنني قلت كل تلك الأشياء لزوجي في ذات اللحظة لأن المستحيل أن يُفكر المرء بكل تلك العبارات دفعة واحدة وإنما كنت أفكّر لأيام وأيام بما سأقوله لزوجي من مثل تلك العبارات المُطمئنة لكي أجعله يشعر بالراحة...

كنت كلما شعرت بالحزن والإحباط، وبأن إيماني قد بدأ يضعف، وبأن الأسى يعتصر قلبي لسوء طالعي، أقرّر تكرار تلك العبارات لنفسي أيضًا الواحدة تلو الأخرى، كما قد يُعيد الطفل قصة رويت له... وبذلك كنت أشعر من جديد بسكينة السلام والمحبة... كما كنت في كل مرّة نتحدث بها معًا أنا وزوجي أقول له ما يكفي من العبارات التي من شأنها أن تُظهر له مقدار ما في قلبي من محبة...

إلى أن قال لي زوجي ذات مرّة:

"كيمو! لم يعد بالإمكان إصلاح ما تسببت به لك من الأذى بحماقتي... وكل ما بإمكاني الآن هو أن أفعل شيئًا واحدًا... وهو أن أبقى إلى جانبك لكي أحاول تعويضك عن نظرك الذي فقدته بسببي وبكل ما لدي من إمكانية ومن طاقة."

لكنني قلت له حينذاك:

"لا! هذا غير ممكن... لن أطلب منك أن ُتحوّل منزلك إلى مستشفى لفاقدي البصر... الأمر الوحيد الذي يجب أن يتم الآن هو أن تتزوج من جديد..."

وكان صوتي قد اختنق بالبكاء وأنا أحاول أن أشرح له ضرورة ذلك... وبذلك تظاهرت بالسعال لكي أخفي انفعالي لكن زوجي اندفع بالقول:



"كيمو! أعلم بأنني كنت أحمق... ومُتبجّحًا! لكنني لن أكون وغدًا بأن أتزوج من جديد! أقسم لك بأكثر الأقسام قِدسية... بأنني لو تزوجت فليوقع الله علي عقاب من ارتكب أكثر الخطايا شناعة... وهو عقاب إثم من يقتل الأقرباء!..."

ولكن آه!... كان علي ألا أدعه أبدًا يُقسم مثل ذلك القَسم الرهيب!...

كانت دموعي حينذاك قد خنقت صوتي... ولم أتمكن من التفوّه بأية كلمة أخرى لشدّة سروري بذلك القسم... دفنت وجهي في وسائدي وبدأت أبكي وأبكي من جديد... وكنت بعد أن تمالكت نفسي قد وضعت رأسي على صدر زوجي وقلت:

"لِمَ أخذت على نفسك مثل هذا العهد؟ هل اعتقدت بأنني طلبت منك أن تتزوج من جديد لكي تحصل على مِتعة قذرة؟ لا... بل كنت أفكر في نفسي لأن زوجتك الثانية سوف تقوم بأداء ما كنت أؤديه لك من خدمات قبل فقداني بصري..."

قال زوجي بتوتر: "خدمات! خدمات! بإمكان الخدم القيام بذلك. يا إلهي! هل تعتقدين بأن لدي من الخبل ما قد يجعلني أجلب عبدة إلى منزلي وأن أطلب منها أن تتقاسم العرش معك؟"

وكان لدى تفوّهه بتلك الكلمات قد أخذ رأسي بين يديه وقبلني بين حاجبيّ.

شعرت في تلك اللحظة بأنني بتلك القبلة قد مُنحت قدسية الحكمة وبأنني حصلت دون ريب على ما يؤكد إخلاصه لي وقلت لنفسي:

"هذا جيّد... إن لم يعد بإمكاني أن أقدم له أقل الخدمات المنزلية، فسوف أنتقل إلى مجال أرفع. سوف أطلب له بركة الله عزّ وجلّ... وبأنه لا حاجة بعد الآن للمزيد من الأكاذيب! ولا للمزيد من الخداع! وبأنني سوف أقلع وللأبد عن كل ما كان في حياتي سابقًا من نفاق ووضاعة!"

لكنني كنت طوال ذلك اليوم قد شعرت بما يُشبه الصراع الداخلي. الفرحة الغامرة بألّا يكون بإمكان زوجي بذلك القَسم أن يتزوج من جديد... وهذا ما دعّم جذوره في داخلي لكنني من جهة أخرى قلت لنفسي:

"قد يأتِ الوقت الذي سوف يكون من الجيّد أن ينكث زوجك بقسمه وبذلك سوف يتزوج من جديد"



لكن قلب المرأة في داخلي عاد وحدثني من جديد:

"قد يحدث ذلك لكنه على كافة الأحوال قد أقسم لك، وليس بإمكان المرء أن ينكث بالقَسم"

لكنني من جهة أخرى قلت لنفسي أيضًا:

"ليس هناك من داعٍ لابتهاجك لذلك"

ثم عاد قلب المرأة في داخلي يُحدثني من جديد:

"لا شك أن هناك الكثير من الصحّة بما تفكرين به، لكنه على كافة الأحوال قد أقسم لك على ذلك"

واستمر ذلك الصراع الداخلي يُلهب حواسي من جديد مرّة بعد مرّة إلى أن تملكّني ظلام الخوف المقيت.

لم يكن زوجي قد سمح للخدم بتقديم ما كنت أقدم إليه من خدمات، وإنما كان يقوم بذلك بنفسه. وكان في ذلك ما جعلني في البداية أشعر بالسرور بأن يكون قد اعتمد على نفسه حتى بأقل الأشياء... واعتقدت بأن في ذلك ما يُشير إلى عزمه استبقائي إلى جانبه...

كانت رغبتي ببقائه إلى جانبي قد ازدادت منذ إصابتي بالعمى... بحيث أصبحت أتوق بكل حواسي إلى وجوده إلى جانبي وإلى مشاركته لي في الأمور التي فقدتها بفقداني بصري. أصبحت أشعر أثناء غيابه عني بأنني مُعلقّة في الهواء وبأنني فقدت كل ما كان حولي من الأشياء الملموسة.

كنت في السابق... عندما يتأخر زوجي في العودة من المستشفى، أفتح نافذتي وأنتظره وأنا أحدقّ في الطريق. كانت تلك الطريق في السابق الحلقة التي تربط بين عالمه وعالمي. لكنني بعد فقداني بصري أصبحت وكأنني أبحث عنه عبر تلك النافذة بكل كياني. كانت الرابطة التي وحّدتنا قد أفسحت المجال لذلك في السابق... لكن أصبحت الآن تلك الهوة التي لم يعد بالإمكان تخطّيها...

كان العالم بكامله ينغلق علي عندما يتركني زوجي... ولكن كل ما كان بإمكاني أن أفعله هو أن أنتظر أن يعود إلي من عالمه.



لكن ذلك التلهف الشديد إليه وذلك الاعتماد الكلي عليه لم يكن جيّدًا لأن الزوجة تعتبر دومًا وفي كافة الأحوال بمثابة العبء على الرجل، وماذا لو أضيف إلى ذلك عبء العمى الذي لابد من أن يجعل حياته لا تطاق... وبذلك كنت قد أخذت على نفسي عهدًا بأن أعاني بمفردي... وبألا أطوّق زوجي مُطلقًا بكل ما يُحيط بي من ظُلمة.

واستطعت خلال وقت قصير وبشكل لا يُصدّق، أن أدرّب نفسي على جميع الأعمال المنزلية بواسطة حاستي السمع والشمّ... ووجدت بسرعة بأن بإمكاني أن أقوم بذلك حتى بأكثر مما كان لدي من المهارة قبل فقداني بصري، فقد يؤدي النظر أحيانًا إلى صرف الانتباه عن الأشياء أكثر من التركيز عليها... فعندما عجزت حركة عيناي عن القيام بعملها كانت جميع حواسي الأخرى قد أخذت دورها في القيام بالعديد من الوظائف وبكل هدوء وإتقان.

ومع استمرار المِران كنت قد اكتسبت الخبرة في أداء الأعمال المنزلية بحيث لم أعد أدع زوجي يقوم بها بالنيابة عني. كان زوجي قد تذمر كثيرًا في البداية من أنني بذلك كنت قد حرمته من التكفير عن ذنبه، لكنه رغم من كل ما كان يقوله لم يتمكن من إقناعي، وكان بإمكاني من جهة أخرى أن أدرك بأنه شعر بالراحة عندما تخلّص من عبء تلك الواجبات المنزلية، فليس القيام بخدمة امرأة عمياء مما يتناسب مع حياة أي رجل...

2

وعندما أنهى زوجي أخيرًا دراسته في كلية الطب، غادرنا كالكوتا لكي يلتحق بعمله كطبيب متدرب في إحدى القرى الصغيرة وكنت بما أنا فيه من عاهة فقدان البصر قد بدأت أشعر بالكثير من البهجة في تلك المنطقة الريفية الهادئة وبأنني عدت من جديد إلى ذراعيّ والدتي. كنت قد غادرت القرية التي ولدت فيها مذ كنت في الثامنة من عمري وبذلك كانت ذكرى القرية التي نشأت فيها قد بدأت تبهت في مخيلتي بعد مرور عشر سنوات على وجودي في تلك المدينة الكبيرة. كانت كالكوتا بحياتها الصاخبة قد حجبت عني طوال المدة التي كنت أنعم بها بالبصر



وعن كل ما لدي من ذكريات عن سِني حياتي الأولى، إلا أنني عندما فقدت بصري شعرت للمرة الأولى بأن كالكوتا قد تسببت بإيذاء عينيّ، وبأنها، بكل ما فيها من مباهج، لا يمكن أن تُشبع نفس المرء، وبدأت ذكريات طفولتي تتوارد إلى ذهني من جديد أشبه بالنجوم التي تظهر في السماء في نهاية النهار.

كنا قد غادرنا كالكوتا إلى هارسينغبور في بداية شهر تشرين الثاني/نوفمبر، كان المكان بالطبع جديدًا بالنسبة إلي، لكن روائح تربة الريف وأصواتها كانت قد طوقتني بعد ذلك إلى حدّ كبير. كانت نسمات الصباح تُثير من الأرض الحديثة الفلاحة الرائحة اللطيفة لأزهار الخردل، وكان صوت ناي الراعي وصرير العجلات وهي تطأ الطريق غير المستوية للقرية قد ملأ عالمي بالبهجة.

وبذلك كانت جميع ذكريات حياتي الماضية قد أصبحت حقيقة واقعة بالنسبة إلي، بكل ما كان فيها من ضجيج وبكل ما فيها من عبير يفوق الوصف. عدت أعيش طفولتي من جديد لا ينقصني منها سوى شيء واحد هو وجود والدتي إلى جانبي.

كان بإمكاني أن أرى بمخيلتي منزل العائلة بتلك الأشجار الضخمة التي تنتشر على طول البحيرة، وأن أتصوّر بعينيّ مخيلتي جدتي جالسةً على الأرض تُدفئ ظهرها في الشمس وتُعدّ كرات العدس لكي تُجففها وتستخدمها في إعداد الطعام، لكن لم يكن بإمكاني أن أتذكر تمامًا الأغنيات التي كانت تُدندنها بصوتها الضعيف المُتهّدج. كنت كلما سمعت خوار الماشية في المساء، أكاد أرى وجه والدتي أمامي وهي تتجول كعادتها حول المكان وبيدها المصباح. كانت رائحة العلف الرطب ورائحة الدخان اللاذعة التي تنبعث من نيران القش، تخترق قلبي، كما كنت أسمع من بعيد صدى رنين جرس المعبد الذي كانت النسمات تحمله إلى مسامعي من طرف النهر.

وشعرت بذلك بأن كالكوتا بكل صخبها وبكل ما فيها من قيل وقال من شأنها أن تُفسد النفوس، وبأن كل ما في الحياة من مبادئ وواجبات لابدّ أن يخسر هناك براءته ونقاءه...



أذكر بأن إحدى صديقاتي كانت قد جاءت إلي ذات يوم وقالت:
"كيمو! لِمَ لا تشعرين بالاستياء نحو زوجك؟ لو كنت قد عوملت مثلك من زوجي لما نظرت إلى وجهه ثانية"
كانت صديقتي تلك قد حاولت أن تجعلني أنقم على زوجي لأنه انتظر طويلًا إلى أن عرضني على طبيب مختص. قلت لها حينذاك:
"كان في فقداني لبصري بحدّ ذاته ما يكفي من شؤم، فلِم علي أن أجعل الأمر أكثر سوءًا بأن أترك لقلبي العنان كي يمتلأ بالحقد والنقمة على زوجي؟"
وكانت صديقتي عندما سمعتني أتلفظ بتلك العبارات غير العصرية أشبه بطفلة ساذجة... قد هزّت رأسها بدهشة ثم أعرضت عني بكل ازدراء...
ولكن... ومهما كانت عليه إجابتي في ذلك الوقت، فإن مثل تلك العبارات لابد أن تترك أثرها الذي لابد أن يُسمم نفس المرء، والذي لن يكون من السهل إزالة ما يتركه من غلّ في النفس.
وهكذا ترون بأن كالكوتا بما فيها من قيل وقال قد تجعل القسوة تتغلغل إلى قلب المرء. لذا كنت عندما استقرينا في تلك المنطقة الريفية، قد وجدت بأن كل آمالي ومبادئي السابقة قد عادت من جديد إلى ما كانت عليه من نقاء وصفاء، وبأن الله عزّ وجلّ ملأ قلبي بالسكينة كما ملأ عالمي بالهدوء والأمان... وركعت وقلت:
"يا إلهي!... لاشكّ أنك بعد أن أفقدتني بصري، قد شملتني برحمتك بأن تركت لي قلبي المُفعم بالإيمان، وأنا أعلم بأنك معي على الدوام..."
آه!... لكنني في الحقيقة كنت أخدع نفسي بعض الشيء. فنحن نقول دومًا مثل هذه الأشياء، حتى عندما نخسر كل شيء، لأننا بالإيمان وبالإيمان وحده، نستطيع الاستمرار في تحمّل أعباء الحياة.

3

وكنا أنا وزوجي قد أمضينا معًا بضعة أشهر بكل سعادة. كان زوجي قد اكتسب بعض الشهرة في مهنته كطبيب وبذلك بدأت مواردنا المالية تزداد.
لكن هناك دومًا ما هو سيء وضار في كثرة المال...



ليس بإمكاني الآن التركيز على نقطة معينة تخصّ هذا الأمر ولكن نظرًا لأن من يفقدون بصرهم لابدّ أن تُصبح حاسة الإدراك لديهم أكثر حدّة من غيرهم فقد كان بإمكاني أن أتبيّن مدى التغيير الذي طرأ على زوجي بالتزامن مع ازدياد ثروته.

كان زوجي عندما كان أصغر سنًّا يتمتع بقدر أكبر من الإحساس ومن التعاطف مع الآخرين، وكان عندما حصل على شهادة الطب قد أعلمني عن رغبته الشديدة في مساعدة الفقراء... وكان لديه الكثير من الازدراء لزملائه في المهنة ممن ليس لديهم أي شعور بالمسؤولية، بحيث كانوا يُحصّلون أجور الكشف الطبي قبل البدء بفحص المرضى...

لكنه كان بعد ذلك قد أصبح قاسيًا وبشكل لا يقبل التصديق. فعلى سبيل المثال: جاءت إليه ذات مرّة سيدة عجوز لكي ترجوه أن ينقذ حياة ولدها الوحيد من باب الإحسان، لكنه رفض ذلك بكل فظاظة... وكان عندما رجوته وألححت عليه أن يساعدها قد أدى ذلك الواجب الإنساني دون أية عناية ودون مبالاة.

كان زوجي عندما كنا أقل غِنىً يكره التكالب على المال ويكره جميع أشكال التعامل في الأمور المالية... وبذلك كان جديرًا بالاحترام بما لا يقبل الشك. لكنه كان بعد أن ارتفع رقم حسابه الضخم في المصرف، قد بدأ يُمضي ساعات طوال على انفراد مع أحد أولئك الأنذال تجار الأراضي ولغايات كانت تُنبئ بوضوح بما هو سيء وبما هو غير قانوني.

إلى أية هوة كان ينحدر؟... وما الذي حلّ بذلك الزوج الذي أحببته؟... الزوج الذي عرفته قبل أن أفقد بصري... الزوج الذي قبّلني ذات يوم بين حاجبي... والذي كان قد أخذ عهدًا على نفسه أمام الله عزّ وجلّ وأمامي؟...

قد يكون بإمكان من تدفعهم ريح الغواية فجأة إلى السقوط في براثن الشرور، أن ينهضوا من جديد بحافز جديد قوي يُوجههم نحو الخير. لكن من يَتردّون بالتدريج ويومًا بعد يوم يتغلغل الانحطاط في نسيج وجودهم الأخلاقي نتيجة



نمو طفيلي خارجي بحيث يُدمّر وجودهم شيئًا فشيئًا وهو ذلك التردّي الذي يؤدي ذات يوم إلى انحطاط أخلاقي لا يعرف له شفاء.

وبذلك كان التباعد الذي تسبب به فقداني البصر مجرد شيء مادي تافه بالنسبة إلى الأمور الأخرى... ولكن... آه! فما كان يخنقني أكثر هو إدراكي بأن زوجي لم يعد معي كما كان في الساعة التي كنا قد عرفنا فيها معًا بأنني فقدت بصري وكان ذلك هو الانفصال الفعلي بيننا!...

كنت بما لدي من مشاعر الحب نحو زوجي، ذلك الحب الذي كان لا يزال بكل زخمه وعنفوانه، وبما لدي من إيمان به ذلك الإيمان الذي لم يكن قد تزعزع، قد حافظت عليه في حِمى قلبي، لكن زوجي بتعطشه للذهب، كان قد ترك الظل الهادئ لتلك الأشياء الأبدية التي لا تفنى وغرق بسرعة في العُقم الجاف للفساد.

كان الشكّ يراودني من وقت لآخر بأن الأمور ليست بالسوء الذي كان يبدو لي... وبأنني ربما كنت أبالغ في قلقي لأنني فاقدة البصر. قد أكون كذلك وقد يكون علي أن أتقبّل العالم كما هو مادمت قد فقدت بصري. وعلى أية حال كانت تلك هي الزاوية التي كان زوجي ينظر منها إلى تقلبات مزاجي وإلى ما كان يعتبره من أوهامي...

وكان قد جاء إلى منزلنا ذات يوم رجل عجوز مُسلم لكي يرجوه أن يرافقه لفحص حفيدته الصغيرة المريضة جدًّا وكان بإمكاني أن اسمع الرجل العجوز يقول:

"بُني! أنا رجل عجوز فقير الحال لكنني أرجوك أن تأتي معي وسوف يُكافئك الله عزّ وجلّ على ذلك!"

لكن زوجي أجابه ببرود:

"لا أهمية لما سوف ألقاه من الله من جزاء، لكنني أريدك أن تُعلمني بما بإمكانك أنت أن تقدمه لي..."

وكنت عندما سمعت ذلك قد تساءلت:

"لِمَ لمْ أكن قد أصبت بالصمم كما أصبت بالعمى؟..."



كان العجوز قد تنهد بأسى وغادر المنزل. لكنني كنت قد أرسلت خادمتي فورًا لكي تستدعي العجوز إلى غرفتي. قابلته أمام باب الغرفة وكنت بعد أن منحته بعض المال قد قلت له:

"أرجو أن تقبل مني هذا المبلغ لأجل حفيدتك الصغيرة، لتعرضها على طبيب جيّد ولتدعو لزوجي بالصلاح"

لكنني لم أكنت قد تمكنت من تناول أي طعام طوال ذلك اليوم. وعندما نهض زوجي بعد الظهر من قيلولته سألني:

"لم تبدين شاحبة بهذا الشكل؟"

وكنت على وشك أن أجيبه كما كنت أفعل دومًا في السابق لكنني أجبت:

"أووه! هذا لا شيء..."

لكن أيام الخداع كانت قد انتهت وبذلك تحدثت إليه بصراحة وقلت:

"كنت لأيام طويلة أتردد في إعلامك بأمر ما، لأنني كنت أجد صعوبة كبيرة في التعبير عما أرغب بقوله... وقد لا يكون بإمكاني الآن أيضًا أن أشرح لك ما في ذهني... لكنني على يقين بأنك على عِلم بما حدث. ما حدث... هو أن اتجاه حياتنا المشتركة قد تغيّر وبأننا تباعدنا تمامًا..."

ضحك زوجي بأسلوب مُتكلّف وقال:

"هذا ما يُدعى بالتغيير! وهو قانون الحياة..."

قلت له: "أنا أدرك ذلك تمامًا لكن هناك بعض الأمور البديهية التي لا يجوز أن تتغيّر على مرّ الزمن."

بدا زوجي جديًّا وقال:

"هناك الكثيرات من النساء ممن لديهن العديد من الأسباب الحقيقية للشعور بالأسى... وهناك من النساء ممن لا يُحببهن أزواجهن... لكنك أنت من تجعلين من نفسك بائسة ولا لشيء على الإطلاق..."

وبذلك كان قد أصبح من الجليّ بالنسبة إلي أن فقداني بصري قد منحني القدرة على رؤية عالم غير قابل للتغيير وقلت:



"نعم! هذا صحيح... فأنا لست كغيري من النساء"

كما أنني أدركت حينئذ بأن زوجي لن يفهمني أبدًا...

4

ثم استمرت حياة كل منا لبعض الوقت بذات النمطية المّملة وبذات الفتور إلى حدث بعض التغيير في رتابتها عندما جاءت إحدى خالات زوجي لزيارتنا.

كان أول ما قالته لي دون تفكير بعد أن قمنا بواجب الترحيب بها:

"من المؤسف جدًّا أن تكوني قد فقدت بصرك! ولكن لِمَ تفرضين مأساتك على زوجك؟ عليك أن تُزوّجيه من امرأة أخرى..."

تلا ذلك فترة صمت محرجة. لو كان زوجي قد قال حينذاك أي شيء ولو على سبيل الدعابة، أو لو أنه كان قد ضحك، لكان كل شيء قد انتهى. لكنه تلعثم وتردّد ثم قال أخيرًا بتوتر وبأسلوب غبي:

"هل تعتقدين ذلك بالفعل خالتي؟ ولكن... في الحقيقة ليس من المناسب أن تتحدثي بهذه الطريقة"

والتفت خالته إلي وسألتني: "هل أخطأت كيمو؟"

كنت قد أطلقت ضحكة كاذبة وقلت:

"أليس من الأفضل أن تطلبي رأي من هو أكثر أهلية لاتخاذ القرار حول ذلك؟... أنت تعلمين بأن: (لص الجيوب لا يطلب عادة الإذن من الشخص الذي سوف يسرقه)"

أجابت الخالة بلطف ظاهري:

"أنت على حق". والتفتت إلى زوجي وقالت:

"عزيزي أبيناش! دعنا نتحدث عن ذلك على انفراد ما رأيك بما قلته؟"

كان زوجي بعد بضعة أيام قد سألها بحضوري فيما إذا كانت تعرف أية فتاة من عائلة محترمة قد يكون بإمكانها المجيء لمساعدتي في الأمور المنزلية، على الرغم من أنه كان يعرف جيدًا بأنني لم أكن بحاجة لأية مساعدة.

ظللت صامتة. وأجابته الخالة:



"أووه... هناك الكثيرات منهن. لدي ابنة عمي هي فتاة في سن الزواج، فتاة لطيفة كما ترغب، وسوف يسرّ أهلها كثيرًا أن تتزوج من رجل مثلك!"
أطلق زوجي للمرّة الثانية تلك الضحكة المُتكلّفة المُترددة وقال:
"لكنني لم أقصد على الإطلاق الإشارة إلى موضوع الزواج."
قالت الخالة: "لكن كيف بإمكانك أن تتوقع من فتاة من عائلة محترمة أن تأتي للعيش في بيتك دون زواج؟"
وكان عليه أن يتقبّل بأن ذلك من الأمور المنطقية لكنه ظلّ متوترًا صامتًا...
كنت بعد أن غادرا الغرفة قد وقفت بمفردي بين الأبواب المُغلقة للعمى الذي أنا فيه، وتوجهت إلى ربي بهذا الدعاء:
أرجوك ياإلهي أن تنقذ زوجي من نفسه!""
ثم كانت خالة زوجي بعد بضعة أيام لدى بعد عودتي من المعبد قد أمسكت بيديّ الاثنتين بحرارة وقالت:
"كيمو! هاهي الفتاة التي تحدثت عنها أمس... اسمها هيمانغيني. سوف يسرها التعرّف عليك"
ثم نادت: "تعالي هيمو... أريدك أن تتعرفي على شقيقتك."
وكان زوجي الذي دخل إلى الغرفة بذات اللحظة قد تظاهر بالدهشة عندما شاهد تلك الفتاة الغريبة وبأنه على وشك الانصراف لكن خالته قالت:
"عزيزي أبيناش! لِمَ تهرب؟ لا داعي لأن تفعل ذلك؟ ها هي ابنة عمي هيمانغيني... هيمو، انحني بالتحية أمامه"
تظاهر زوجي بالاستغراب وبدأ يُمطر خالته بالأسئلة حول متى وأين وكيف جاءت تلك القادمة الجديدة، لكنني كنت قد شاهدت ببصيرتي ما كان في تصرفه من خداع...
كنت بعد ذلك قد أخذت بيد هيمانغيني، واقتدها إلى غرفتي الخاصة، وكنت بعد أن تحسّست وجهها ويديها وشعرها بلطف، قد تمكنت من أن أقدّر بأنها لابد أن تكون في الخامسة عشر، وبأنها فتاة جميلة جدًّا.



كانت الفتاة وأنا أتحسّس وجهها قد انفجرت فجأة بالضحك وقالت:

"ماالذي تفعلينه؟ هل ترغبين بتنويمي مغناطيسيًّا؟"

وكانت تلك الضحكة اللطيفة الرنانة التي أطلقتها الفتاة قد أزالت خلال دقيقة واحدة جميع السُحب التي تقف بيننا... عانقتها وقلت:

"كنت أحاول أن أراك عزيزتي!"

وكانت قد قالت بدهشة وهي تضحك ضحكتها الرنانة عندما تحسّست وجهها بيدي للمرّة الثانية:

"تحاولين رؤيتي؟ هل تعتقدين أنني نبتة كوسا في حديقتك تريدين تلمّسها لمعرفة مدى طراوتها؟"

أدركت فجأة بذلك بأنها لم تكن قد علمت بأنني فاقدة البصر. وقلت لها: "أنا عمياء..."

ظلّت صامتة... ولكن كان بإمكاني أن أشاهد ببصيرتي نظرة عينيها وهما تحدقان في وجهي بكل دهشة. كما كنت أعلم مدى ما شعرت به من شفقة علي.

ثم قالت بعد فترة قصيرة:

"أووه!... فهمت الآن، لابد أن هذا هو السبب الذي جعل زوجك يُوجه الدعوة لخالته للمجيء لكي تبقى معك"

ثم عادت إلى إطلاق تلك الضحكة الرنانة... وقالت:

"هذا يُشبه خالتي تمامًا... لكن ألم يكن من عدم التهذيب أن تأتي لزيارتكم دون دعوة؟... لكنها أصبحت هنا الآن ولن يكون بإمكانك التخلص منها، سوف تبقى لفترة طويلة وبإمكاني أن أؤكد لك ذلك"

بعد تردّد سألتني بدهشة:

"ولكن لِم أرسلني والدَي إلى هنا؟ هل بإمكانك أن تُعلميني بذلك؟"

وكانت الخالة قد دخلت إلى الغرفة أثناء حديثنا... وبذلك بادرتها هيمانغيني بالقول:

"متى تعتزمين السفر خالتي؟"



بَدت الخالة في غاية الارتباك وقالت:
"ما هذا السؤال؟ لم أر قط مثل هذا الضجر. لم نكد نصل وأنت تسألين الآن متى سنعود!"
قالت هيمانغيني: "الأمر جيد جدًّا بالنسبة إليك لأن هذا البيت هو بيت من هم أقرب الأقرباء إليك، ولكن ماذا عني؟ أقولها لك بكل بساطة ليس بإمكاني البقاء هنا"
ثم تناولت يدي، وقالت: "ما رأيك عزيزتي؟"
كنت قد ضممتها إلى صدري دون أن أقول شيئًا وكان موقف الخالة قد أصبح محرجًا للغاية. شعرت الخالة بأن الوضع قد بدأ يصبح خارج سيطرتها، وبذلك اقترحت عليها اصطحابها للاستحمام في النهر.
لكن هيمانغيني قالت وهي تتأبط ذراعي:
"لا... بل سنذهب نحن الاثنتان معًا"
كانت الخالة قد أذعنت للأمر خشية اعتراض الفتاة لو أنها حاولت إثناءها عن الأمر.
ثم سألتني هيمانغيني ونحن نتوجه نحو النهر:
"لِمَ ليس لديك أطفال؟"
كنت قد صُعقت لذلك السؤال وأجبتها:
"كيف بإمكاني أن أفسّر لك الأمر، لم يكتب لي الله أن أرزق بالأطفال. هذا هو السبب"
لكن هيمانغيني قالت على الفور:
"لا! ليس هذا هو السبب، لابد أنك ارتكبت إثمًا... انظري إلى خالتي، ليس لديها أي أطفال، لابد أن هذا لأن في قلبها بعض الشرور، لكن ما هو الشر الذي قد يكون في قلب امرأة مثلك؟..."
كانت كلماتها تلك قد جرحت مشاعري، لم يكن لدي ما أقوله. تنهدت بحرارة وقلت في صمت روحي:



"وحده الله من يعلم السبب والحقيقة"

حينئذ قالت هيمانغيني وهي تضحك من جديد:

"يا لله! لم تنهدت بهذا الشكل؟ لا أحد يأخذ كلامي على مَحمل الجدّ!"

وكانت ضحكتها قد تردّدت عبر النهر.

5

لاحظت بعد ذلك بأن هناك انقطاع مستمر في مهام زوجي المهنية. أصبح زوجي يرفض جميع طلبات الاستشارات الطبية التي قد تأتي من مسافات بعيدة، وحتى أنه كان قد بدأ يتهرب من زبائنه حتى لو أنهم كانوا قريبًا منه.

كانت من عادة زوجي في الفترة الأخيرة لكثرة مشاغله، عدم العودة إلى المنزل سوى في أوقات تناول الوجبات النهارية، كما كان لا يعود في المساء إلا عندما يحين في وقت النوم. لكنه أصبح مؤخرًا وبناء على ما أبدته خالته من قلق على صحته -ولم يكن هناك أي داعٍ لذلك- يزورها في غرفتها في جميع ساعات النهار. كنت أشعر بذلك عندما أسمع صوتها تُنادي هيمانغيني لكي تطلب منها أن تجلب لها كأسًا من الماء...

لكن الفتاة كانت قد بدأت تتعلق بي أكثر فأكثر بدافع الشفقة، وكان شعور الخوف والحزن يجعلانها تبقى صامتة... وكانت أحيانًا تركض إلي أشبه بطريدة لا تكاد تعرف ما ينتظرها.

كان شقيقي قد جاء من كالكوتا لزيارتي بذات الوقت... ونظرًا لأنني كنت أعلم جيدًا ما يتمتع به من قوة ملاحظة كما أعلم بأن أحكامه صارمة... فقد خشيت أن يضع زوجي في موقف الدفاع عن نفسه، وبأن يكون على زوجي بذلك أن يتقدم بدفاعه أمامه، لذا كنت قد بذلت كل جهد لإخفاء الوضع الحقيقي بيننا تحت ستار من البهجة، لكنني أخشى أن أكون قد بالغت في لعب ذلك الدور الذي لا يتناسب مع طبيعتي.

كان زوجي قد بدأ بعد ذلك يتململ من وجود شقيقي... وسألني عدة مرات عن مدة زيارة شقيقي لنا، ثم بدأ نفاذ صبره يقترب من الوقاحة وبذلك لم يكن أمام



شقيقي سوى المغادرة. كان شقيقي قبل مغادرته قد وضع يده على رأسي وتركها للحظة. أحسست بأن يده كانت ترتجف كما شعرت بأن الدموع كانت تطفر من عينيه، ثم غادر بعد أن منحني بركته بصمت...

6

أذكر جيدًا بأن ذلك كان في إحدى ليالي شهر نيسان/إبريل وفي يوم السوق المفتوحة. كان الناس الذين قَدموا إلى السوق قد بدؤوا يغادرون البلدة، كان في الهواء ما يُنذر بقرب هبوب عاصفة عاتية، وكانت رائحة الأرض الندية ورطوبة الهواء توحيان بذلك.

لم أكن أحتفظ في غرفتي بأي مصباح عندما أكون بمفردي في الغرفة خشية تعرّض ملابسي للحريق أو وقوع أية حادثة، كنت قد جلست على أرض غرفتي المظلمة وبدأت أطلب عون الله الذي ابتلاني بالعمى هتفت:

"يا إلهي الذي لا يمكن أن يراه أحد! أنا فاقدة البصر ليس بإمكاني أن أرى شيئًا وأنا أضغط على قلبي بشدة إلى أن بدأ قلبي الآن ينزف. أصبحت الأمواج التي تتقاذفني أقوى من طاقة احتمالي. أتوسل إليك يا إلهي أن ترحمني! فإلى متى سوف يستمر ابتلائي ومعاناتي؟"

ثم وضعت رأسي على حافة السرير وأجهشت بالبكاء.

لكنني شعرت وأنا أفعل ذلك بأن هناك شيء ما يتحرك من فوق السرير. كانت هيمانغيني بعد لحظة قد وقفت إلى جانبي، عانقتني وبدأت تجفف دموعي بصمت... ولم أفهم لِمَ كانت تلك الليلة بانتظاري في الغرفة الداخلية ولِمَ كانت مستلقية هناك بمفردها في الغسق...

لم تُوجّه إلي أي سؤال ولم تتفوّه بكلمة واحدة وكان كل ما فعلته أن وضعت يدها الباردة على جبيني ثم قبلتني وغادرت الغرفة.

كانت هيمانغيني في اليوم التالي قد قالت لخالتها بحضوري:

"خالتي! بإمكانك البقاء هنا إن كنت ترغبين بذلك، لكنني لا أرغب في ذلك، وسوف أغادر في الغد مع خادمة العائلة..."



وكانت الخالة قد أجابتها بأنه لا ضرورة لذهابها بمفردها لأنها سوف تغادر أيضًا في الغد. ثم أحضرت عقدًا من اللؤلؤ كان في علبة مخملية وقالت بتكلف:

"هيمو! انظري إلى هذا العقد اللؤلئي الجميل الذي جلبه لك أبيناش"

لكن هيمانغيني انتزعت العقد من يدها وأجابتها بسرعة:

"انظري إليّ خالتي... فلتنظري فقط كم أنا بارعة في الرماية"، ثم رمت العقد من النافذة.

صُدمت الخالة وشعرت بالغيظ والدهشة وانتصبت كالقنفذ ثم استدارت إليّ، وأمسكت بيدي وكررت القول مرات ومرات:

"أرجوكِ كيمو! لا تُعلمي أبيناش بهذا التصرف الطفولي. سوف يجرح هذا الأمر مشاعره بشكل كبير..."

وكنت قد أكدّت لها بأنه لا حاجة لأن تقلق وبأنني لن أتفوّه بكلمة واحدة بما حدث.

كانت هيمانغيني قبل مغادرتهما قد عانقتني بحرارة وقالت:

"غاليتي! تذكريني على الدوام... لا تنسيني..."

وكنت قد مررّت أصابعي على وجهها مرات ومرات وقلت:

"أختي الغالية! تذكري دومًا بأن لفاقدي البصر ذاكرة قوية"

كان زوجي قد تظاهر بعد عودته بكثير من الراحة لمغادرتهما، وبأن زيارة خالته كانت قد أعاقته عن الاهتمام بعمله لكنه كان قد فعل ذلك بأسلوب فارغ ومبالغ فيه...

لم يكن بيني وبين زوجي إلى ذلك الوقت سوى حاجز واحد هو كوني فاقدة البصر، لكن حاجزًا جديدًا كان قد أضيف إلى ذلك وهو ذلك الصمت المُتعمّد عن هيمانغيني كان زوجي يتظاهر بعدم مبالاة زائفة بها لكنني كنت أعلم بأنه كان يُفكّر بها دومًا.



7

كان ذلك في بداية شهر أيار/مايو حيث دخلت خادمتي إلى غرفتي ذات صباح وسألتني:

"ما هذه التحضيرات التي تتم على شاطئ النهر؟ أين سيذهب السيد؟"

كنت أعلم بأن هناك أمر وشيك الوقوع، لكنني أجبتها: "ليست لدي أية فكرة عن ذلك"

لم تجرؤ الخادمة على توجيه المزيد من الأسئلة إلي، لكنها كانت قد تنهدت بإشفاق وغادرت الغرفة.

ثم جاء زوجي في ساعة متأخرة من الليل وقال لي:

"عليّ المغادرة في وقت مبكر من صباح الغد لكي أزور أحد المرضى، وقد يكون عليّ البقاء هناك ليومين أو لثلاثة أيام..."

كنت حينئذ قد نهضت فجأة من سريري، وقفت أمامه وصرخت بصوت مرتفع:

"لِمَ تكذب علي؟"

قال زوجي وهو يتلعثم:

"ماذا؟... ما الذي كذبت به عليك؟"

قلت: "سوف تتزوج؟"

ظلّ صامتًا لبعض الوقت. وكنت قد اخترقت الصمت من جديد وصرخت:

"أجبني، قُل الحقيقة، قُل نعم سوف أتزوج..."

أجابني بصوت أشبه بصدى ضعيف: "نعم"

كنت قد صرخت بعلو صوتي: "لا... لن أسمح لك بذلك أبدًا. سوف أنقذك من هذه الكارثة الرهيبة، سوف أنقذك من هذا الإثم الكبير. لأنك بذلك سوف تنكث بقسَمك... ولو فشلت في ذلك فلِمَ أنا زوجتك ولِمَ أنا أعبد وأخشى الله؟"

ظل الهدوء سائدًا في الغرفة أشبه بسكون في قبر... وكنت بعد ذلك قد ركعت على الأرض وأمسكت بركبتي زوجي وسألته:



"ما الذي فعلته؟ وما هو الشيء الذي قصّرت فيه تجاهك؟ أعلمني بصدق لِم ترغب بزوجة أخرى؟"

قال زوجي ببطء: "سأعلمك بالحقيقة... أصبحت أخشاكِ لأن فقدانك البصر احتجزك في حِصن منيع لم يعد بإمكاني الدخول إليه. أنت الآن لست امرأة بالنسبة إلي... لم يعد بإمكاني الاستمرار في حياتي اليومية معك... أنا بحاجة إلى امرأة... إلى امرأة عادية تكون لي حرية ملاطفتها ومداعبتها وتعنيفها وتوبيخها و..."

قلت: "آه...! فلتفتح قلبي وتنظر فيه! ألست تلك المرأة العادية التي ترغب بها؟ أبيناش! أنا لا أزال الفتاة التي كنت عندما تزوجتني، أنا لا أزال تلك الفتاة بكل احتياجها إلى من تحبه وإلى من تثق به وإلى من تُفضي إليه بما في نفسها..."

ليس بإمكاني أن أتذكر تمامًا كل ما قلته حينذاك لكنني أذكر بأنني قلت أيضًا: "لو كنت زوجتك بالفعل، وليشهد الله على ذلك، لن أدعك ترتكب هذا الإثم... لن أدعك تنكث بقَسَمك... فإما أن أصبح أرملة أو أن تموت هيمانغيني قبل أن ترتكب هذا الإثم..."

ثم سقطت على الأرض وأغميَ عليّ...

عندما استعدت حواسي كان الظلام لا يزال منتشرًا وكانت الطيور ساكنة وكان زوجي قد غادر المنزل...

أمضيت ذلك اليوم وأنا أصلي في المعبد. كانت عاصفة هوجاء قد هبت تلك الليلة. كانت الأمطار تسقط بغزارة، وكان الرعد يقصف ويهزّ المنزل بأكمله.

لم أكن قد طلبت من الله وأنا أصلي في المعبد، أن ينقذ زوجي من العاصفة، على الرغم من أنه قد يتعرض للغرق في النهر بسبب العاصفة... وإنما كنت قد طلبت من الله أن ينجو زوجي، مهما حصل له ولي، من ارتكاب ذلك الإثم الكبير بأن يكون قد نكث بالقَسم...



مرّ الليل وحلّ يوم آخر... أمضيت اليوم التالي أيضًا وأنا أصلي وعندما حلّ المساء سمعت ضجة وطرقًا شديدًا على الباب، وكانوا عندما كُسروا الباب قد وجدوني مُمدة على الأرض فاقدة الوعي وحملوني إلى غرفتي.

كنت عندما استعدت حواسي أخيرًا سمعت من يهمس في أذني: "أختي! أختي!" وجدت نفسي مُمدة على حِجر هيمانغيني. كنت عندما حركت رأسي قد سمعت حفيف ثوبها... كان ذلك صوت حفيف ثوب الزفاف الحريري.

قلت لنفسي: "يبدو أن دعواتي لَم تُستجب! وها قد سقط زوجي في هاوية الإثم!"

ثم انحنت هيمانغيني نحوي وقالت بهمس رقيق:

"أختي الغالية، جئت لكي أطلب بركتك لي بزواجنا"

كان جسمي بكامله قد اختلج أشبه بمن أصابته صاعقة، لكنني نهضت مع ذلك وقلت بأسى وأنا أرغم نفسي على النطق بالكلمات:

"لِمَ لا أطلب لك البركة؟ فأنت لم تتسببي لي بالأذى"

حاولت أن أبتسم وقلت في نفسي:

"ليست دعواتي آخر ما في العالم، وهذه هي إرادة الله، وإرادة الله لابد أن تكون. فلتسقط الضربات المتتالية على رأسي ولكن ليبق إيماني وأملي بالله عزّ وجلّ دون مِساس..."

انحت هيمانغيني أمامي ولمست قدمي.

قلت لها: "كوني سعيدة! ليباركك الله ولتنعمي بالرفاه والبنين!"

لكن هيمانغيني لم تكن قد اكتفت بذلك وقالت:

"أختي العزيزة، هذه الأمنيات لا تكفيني. عليك أن تجعلي سعادتنا كاملة. عليك أن تقبلي زوجي أيضًا في بيتك. دعيني أصطحبه إليك."

قلت لها: "لا بأس! اصطحبيه إلي"

ثم سمعت بعد بضع دقائق وقع أقدام كنت أعرفها جيدًا ثم سمعت صوتًا يقول:

"كيف حالك كيمو؟"

وثبت فجأة وصرخت: "شقيقي دادا!..."



انفجرت هيمانغيني بتلك الضحكة المرحة ثم سألتني"

"ألا زلت تعتبرينه شقيقك الأكبر؟ عليك الآن أن تعتبريه شقيقك الأصغر وأن تشدّي أذنيه لأنه تزوج أختك الأصغر"

وكنت بذلك قد أدركت بأن زوجي نجا من ارتكاب ذلك الإثم الكبير، وبأنه لم يكن قد سقط في هاوية الخطيئة.

كنت أعلم أن شقيقي كان قد قرر في السابق عدم الزواج، وبأنه لم تكن لدى والدتي قبل وفاتها أية رغبة سوى أن يتزوج. لكنني كنت بما عانيته، أنا شقيقته، كنت قد جعلت ذلك الأمر يتم وبأن شقيقي تزوج لأجلي...

بدأت دموع الفرح تطفر من عيني وتسيل على خدّي، حاولت ولكن لم يكن بإمكاني أن أتوقف عن البكاء. مسح شقيقي على شعري وعانقتني هيمانغيني وهي تضحك كعادتها ثم غادرا معًا.

كنت بعد مغادرتهما قد استلقيت في سريري، ظللت مستيقظة طوال الليل وأنا أنتظر عودة زوجي بقلق بالغ. لم يكن بإمكاني أن أتصور كيف سيكون بإمكانه احتمال صدمة الخجل وخيبة الأمل.

كنت بعد أن تجاوزت الساعة منتصف الليل فُتح الباب بهدوء قد جلست في سريري وأصغيت، كان ذلك وقع أقدام زوجي. بدأ قلبي يضرب بشدة. اقترب زوجي من سريري وأمسك بيدي بين يديه وقال:

"لقد أنقذني شقيقك داد من الدمار... كنت في لحظة جنون قد بدأت أنحدر شيئًا فشيئًا نحو هاوية الإثم... كنت قد فُتنت بحيث لم يكن بإمكاني أن أتحرر من ذلك ... يعلم الله مقدار العبء الذي كان يثُقل كاهلي يوم صعدت إلى تلك السفينة. كانت الرياح تعصف بشدّة على النهر وقد غطّت السحب السماء... وكانت في قلبي في زخم كل تلك المخاوف أمنية واحدة أمنية واحدة هي أن أغرق لكي أكون قد تخلّصت من القيد الذي ربطت به حياتي... ليس بإمكاني أن أصف لك مقدار ما شعرت به من بهجة وحياء عندما وصلت إلى ماثوركانج وسمعت بنبأ



زواجهما. كنت بذلك أسرعت إلى المركب من جديد وقد أدركت في لحظة مواجهة مع الذات بأنه ليس بإمكاني أن ألقى السعادة مع أية امرأة سواك...

ضحكت وبكيت بذات الوقت... وفي اليوم التالي كانت تلك المدينة الصغيرة بكاملها تبتهج بذلك الحدث، ولكن دون أن يكون أحد قد أشار إلى تلك الليلة من الجنون التي كاد فيها كل شيء سيضيع...

أما المغزى الذي يمكن أن نتستخلصه من تلك الروايات فهو أن الإخلاص في المحبة والتفاني يُعتبر أرقى مراتب العلاقات الإنسانية التي تربط بين البشر، فلا الثروة ولا المكانة الاجتماعية بإمكانهما أن يُعوّضا المرء عن قلب مُحب مخلص يشارك المرء الحياة دون أطماع لأن المحبة عطاء وتضحية...

من أشهر القصائد التي كُتبت عن المحبة

قصيدة إيلا ويلر ويلكوس

المحبة تكفي

المحبة تكفي!

لذا دعونا لا نسعى للثروة فقط،

لأن الثروة قد تُولّد الأهداف الخاطئة والتكبر والأنانية.

المحبة تكفي!

لم يكن الناس البسطاء في الأيام الغابرة قد بحثوا عن المنازل والملابس الفاخرة،

لأن الأشياء الجيدة تكمُن في العلو فقط،

وتكمُن في المحبة وفي مباهج المحبة

المحبة تكفي!

لم علينا أن نبحث عن الشهرة؟

الطموح من الأمور البغيضة فهو يُغرينا ويُبعدنا بعيدًا جدًّا عن السعي للسعادة والراحة.

لذا دعونا نبقى هنا في هذا المكان المنعزل القائم على المحبة لأن المحبة تكفي.



المحبة تكفي!

لم علينا أن نبحث عن أكثر من ذلك؟

وما هي الهدية الأكثر قيمة التي يمنحها الله تعالى؟

وما هي النعمة الأثمن من كل النعم

من قلوب مُحبة تحب وتحب بإخلاص؟

المحبة تكفي!

وبالمحبة تصبح الحياة أجمل ويصبح العالم بكامله كاملًا بالمحبة...



لا تتعلق بأحد

للشاعرة إيلا ويلر ويلكوس

"لا تتعلق بأحد" كان هذا ما يوصي به الحكماء،
كانوا يرون أن على الذين يسبرون أعماق مياه البحار
أن يسحبوا مرساتهم في البداية قبل ينطلقوا بحرية.
لكن هذا لن يكون بالنسبة إلي...
فهل عليّ أن أنتظر إلى أن أدخل من جديد عبر سور الحياة؟
أنا لست أمتلك ما يكفي من شجاعة لكي أبحر بمفردي
إلى البحار البعيدة، وأن أترك الشاطئ الجميل..
لقد تعلقت مرساة حياتي بالمحبة
ولو كان بإمكاني لن أرفع تلك المرساة
لكي أنطلق دون أن أتعلق بأحد
ولكي أعثر على تلك الحقائق في مكان بعيد تحت سماء موحشة...
عليّ أن أبقى مع المحبة ومع كل ما فيها من نشوة ومن بهجة
فعلى الرغم من أن سكينة القلب وسعادة النفس
تنتظر من يسعى إلى ذلك الهدف البعيد
بالقرب من شواطئ الأرض
مع كل ما فيه من ألم ومن معاناة...
لن أتخلى عن حلمي الجميل حتى لو كنت سأكسب العالم.



الحياة محبة

للكاتب إيليا ويلركوس

هل هناك من قد يشعر بالحزن في هذا العالم؟

فمادامت الشمس تُشرق فوق رؤوسنا.

ومادامت الأرض الخضراء تحت أقدامنا؟

ومادامت الطيور تغرد فوق رؤوسنا وهي تحلق بسرعة فائقة

لم لا تكون الحياة سوى حلم بالسعادة؟

من بإمكانه أن يشعر بالوحدة وهو ينعم بكل ذلك؟

قال لي أحدهم أنه عندما أطلّ هذا الصباح من نافذته لكي يدخل منها الضوء

بدا أمامه أكثر الأيام كآبة

لكنني عندما نظرت إلى الشروق رأيت مشهدًا رائعًا...

فأنا والنحل والطيور نشك بذلك ونرى أن عالمنا عالم يستحق أن نعيش فيه.

قال لي أحدهم أن القلوب مُتقلّبة وبأن المحبة حزن...

وبأن الحياة قلق وبأن الموت يحصد كل ما هو مشرق وجميل حولنا.

لكنني عندما أعلمت الطيور بذلك كانت قد ضحكت وضحكت معها...

آه يا عالم النور! ويا عالم الجمال!

آه أيها الضعفاء أين هي مباهجكم التي تشبه مثل ما لدي من مباهج؟

نعم، الحياة محبة والمحبة واجب كل منا نحو نفسه ونحو الآخرين...



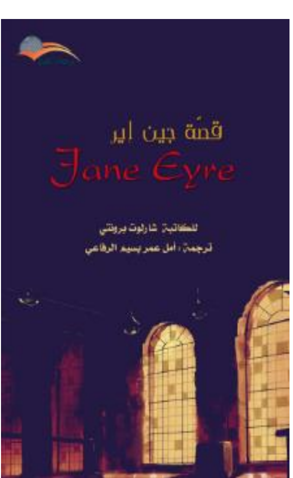
قائمة بمؤلفات أمل الرفاعي

المنشورات عن طريق دار ناشري للنشر الألكتروني

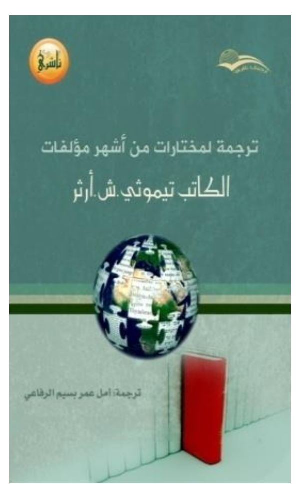



نساء صغيرات
Little Women


ترجمة لمختارات من قصائد الأخوات برونتي


قصّة جين اير
Jane Eyre
للكاتبة: شارلوت برونتي
ترجمة: أمل عمر بسيم الرفاعي


الارتقاء في الإنسانية
قصص ومقالات مترجمة
ترجمة : أمل الرفاعي


ترجمة لمختارات من أشهر مؤلفات
الكاتب تيموثي.ش.أرثر


مختارات من قصائد مشاهير الشعراء
الحياة محبة



الكتاب الذي تم نشره عن طريق دار EKTB

الناشر العربي



المؤلفات التي نُشرت ورقياً عن طريق دار شعاع







المقالات والقصص القصيرة التي تم نشرها على موقع دار ناشري

المقالات:

كلمة الشكر وحسن التعامل مع الآخرين

محكمة التاريخ

الفساد الأخلاقي

الطموح والقناعة

قانون الأخلاق

قانون الاختيار ثمن النجاح

الآثار الاجتماعية والنفسية للحروب

أهمية الصداقة في حياةالمرء

الضمير

نعمة الصبر والنسيان

الجرائم الخفيّة

الرصيد المعنوي بين التواضع والتكبّر

تأملات زاهدة

دور الأمل في الحياة

لمحة عن الأدب الإفريقي الأمريكي

أحاديث الطيور



القصص القصيرة

